الفن البيئي

تعريفه . تطوره . عناصره وأهميته

الدكتورة
صفا لطفي الألوسي



الدار المنهجية
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

صدق الله العظيم

الفن البيئي

تعريفه ، تطوره ، عناصره وأهميته

الفن البيئي

تعريفه ، تطوره ، عناصره وأهميته

الدكتورة

صفا لطفي الألوسي

الطبعة الأولى

2016م - 1437هـ



الدار المنهجية
للنشر والتوزيع



رقم التصنيف: 720

الفن البيئي تعريفه ، تطوره ، عناصره وأهميته

د. صفا لطفي الألوسي

الواصفات: الفن// البيئة/

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2015/1/66)

ردمك ISBN 978-9957-593-97-1

عمان ـ شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري

هاتف 4611169 6 962+ ص ب 922762 عمان ـ 11192 الأردن

DAR ALMANHAJIAH Publishing - Distributing

Tel: + 962 6 4611169 P.O.Box: 922762 Amman 11192- Jordan

E-mail: info@almanhajiah.com

الفهرس

1. مقدمة.......... 7
2. تعريفات لمصطلحات لها علاقة بالفنون البيئية.......... 11
3. التطور التاريخي للفنون البيئية 14
4.الفن البيئي في وادي الرافدين.......... 14
5. العصر الحجري الحديث وفن وادي الرافدين 15
6. فخار تل حسونة 16
7. فخار سامراء.......... 16
8. تل حلف 17
9. دور العبيد 18
10البيئة كمسكن لانسان وادي الرافدين.......... 18
11. الفخار (احد الفنون البيئية).......... 21
12. فنون العصر الشبيه بالكتابة 22
13. النحت 25
14 . الفخار السومري 34
15. البابليين وعهد جديد في الفنون البيئية.......... 37
16. بلاد آشور 39
17 . المقومات التي كانت وراء نشأة الفنون البيئية الرافدينية 41
18. مقومات الفن البيئي ودور المواد الاولية في ذلك.......... 42
19. الفنون البيئية المصرية القديمة 43
20. مميزات الفن البيئي المصري القديم.......... 47
21. الخامات البيئية التي وظفها الفنان في مصر الفرعونية 47
22. الفنون البيئية المصرية القديمة 51
23. الفن البيئي في بلاد اليونان.......... 53
24. مقومات نشوء بيئة فنية في اليونان.......... 53
25. التصوير.......... 58
26 . الاسطورة الاغريقية 59

27. الفسيفساء 61
28. اهم مواضيع الفسيفساء العربية 70
29. الفن 76
30. طبيعة الفن 77
31. الفنان 77
32. نظرية الفن من وجهة نظر فلسفية 77
33. تاريخ الفن 79
34. انواع الفنون 80
35. اقسام الفن 81
36. الانسان والبيئة 82
37. الفن والبيئة 83
38. البيئة واثرها على الفنون 85
39 . ثلاثية الانسان والفن والبيئة 85
40. نبذة عن الفن البيئي ـ تعريفه ـ هدفه ـ اهميته ـ فوائده 87
41. هدف الفن البيئي 88
42. اهمية الفن البيئي وفوائده 89
43. عناصر الفن البيئي 90
44.الفن البيئي 93
45. وظائف الفن البيئي 96
46. العوامل المؤثرة في الفن البيئي 97
47. الاحساس بالجمال 100
48. ماهي بيئة الحياة 102
49. البيئة الطبيعية والبيئة المصطنعة 104
50 . البيئة الاجتماعية والفن 108
51. الابداع والفن والبيئة الاجتماعية 110
52. مفهوم التراث الشعبي وعلاقته بالفن البيئي 112
53. نماذج مختارة من الفنون البيئية وخاماتها 114
54. المصادر 123

تقدمة

إن المعيار الثابت لتذوق أي فن من الفنون مهما اختلفت معاييره الثقافية هو الشكل المطلق في الصياغة بما تشتمل عليه من تصميم وتنفيذ بشرط مراعاة الأساسيات والعناصر الفنية التي تشتمل على التناغم والوحدة والإيقاع في الخط واللون والكتلة وملامس السطوح.

إن كلمة فن لا يمكن تحديد مضمون لها ، بل يتبدل مضمونها تبعاً لكل عصر وما تسوده من مفاهيم اجتماعية ، ولكنها تبقى في محافظة على معناها العام معنى الخلق والإبداع في الإنتاج المادي والفكري.

ومن المفيد أن نذكر أن الفن والإنسان عنصران متلازمان. وإن هذا المخلوق العجيب (الإنسان)، هو الذي أوجد الفن وعاش معه.

فالفن هو نتاج الإنسان المبدع ، الفنان ، وإن طبيعة الإنسان المرنة المتجددة والقابلة للتشكيل طبقاً للبيئة والعادات التي يعيش معها الإنسان . تؤدي بالنتيجة إلى تعدد وتغير الأساليب الفنية في المجتمعات والبيئات المختلفة.

إن اختلاف الأساليب الفنية دلالة على تطور الجماعات البشرية التي عكست هذه التطورات بأنماطها الفنية .

وبذلك تتنوع النتاجات الفنية والحضارات التي كان للبيئة الأثر الفاعل في نموها وتطورها واختلافها.

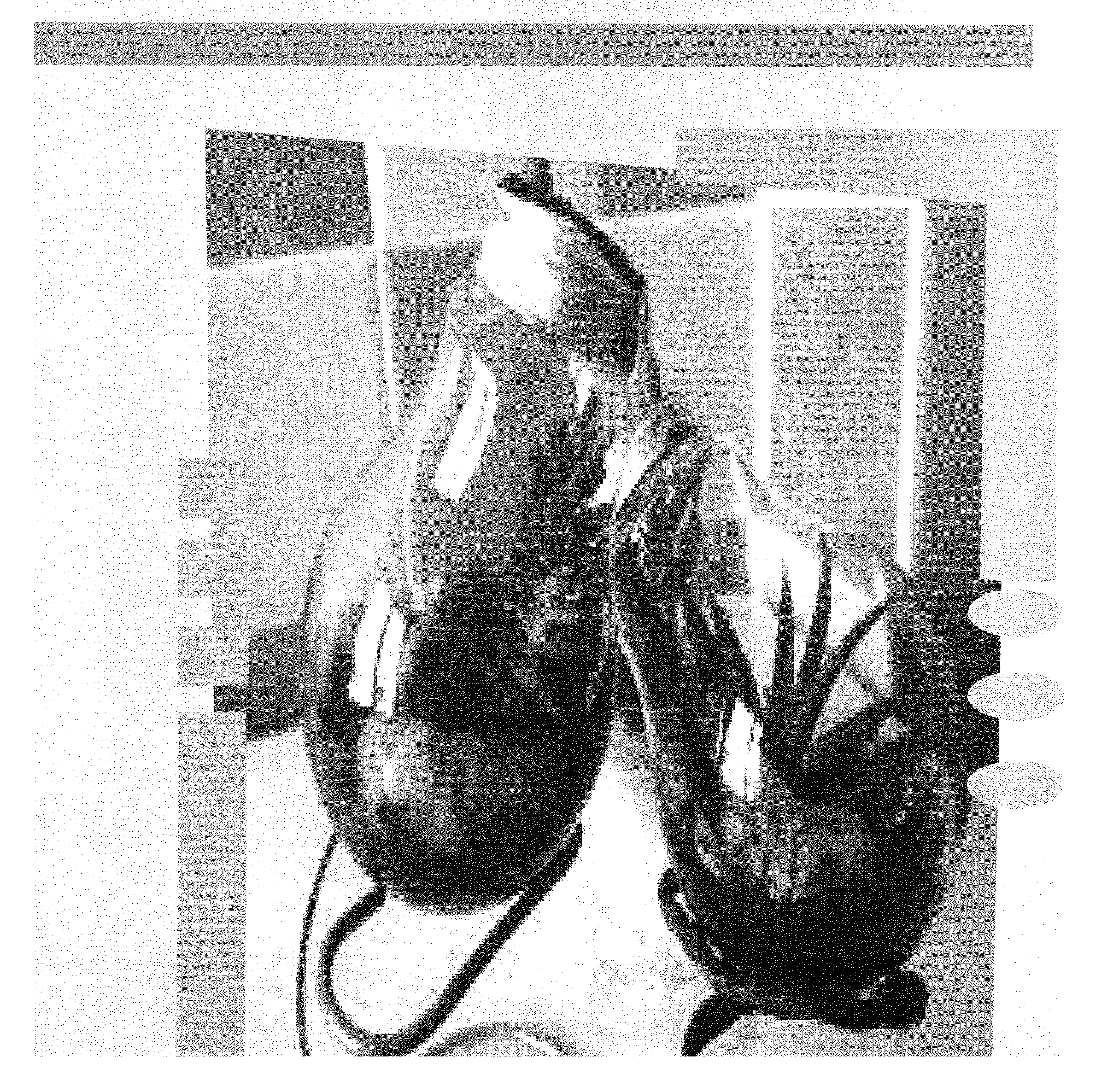
تقدمة

ظهر الفن التشكيلي منذ عهود سحيقة في القدم ، وأصبح هذا الفن يمثل مشاعر الإنسان وأفكاره ومعتقداته . وقد أحب ذلك الإنسان هذا الفن لمعرفة واقعه الحياتي.

والفنان في كل عصر عند تفريغه لطاقته التعبيرية التلقائية خلال الأشكال إنما يستخدم ما تحت يديه من خامات ومواد.

1 الفن البيئي

تعريفه، تطوره، عناصره وأهميته



الفن البيئي

تعريفه، تطوره، عناصره وأهميته

تعريفات لمصطلحات لها علاقة بالفنون البيئية:

1. الحرفة / الصنعة (Craft)

تطلق على كل عمل مرتبط بالحرفة التنفيذية الأدائية، كالنقش والنجارة وغيرها.

أي هي كل عمل مرتبط بأداء مهارة يدوية على جانب من الدقة والجمال، مع مراعاة الغرض الوظيفي منها.

2. الفن الجداري (Mural Painting):

هو فن الرسم والتصوير والحفر على الجدران والسقوف، إذ تكون جزءاً من التصميم المعماري وبخامات مختلفة كالزيت والفريسكو والتمبرا وكذلك الحفر على الجدار.

وهو نوع من الفن ظهر في مختلف الحضارات ولاسيما الحضارة الإسلامية، ولكنه اعتمد هنا على الزخرفة أساس. وبمختلف التقنيات.

3. الفن الشعبي (Folk Arts Folklore) :

لكل شعب فنونه الشعبية التي تعبر عن أحاسيسه ومأثوراته وهي فنون تتسم بالبساطة والفطرية ، ويعد الرمز عنصر هام في هذه الفنون، وكذلك قوة الألوان واستغلال خامات البيئة بإبداع وابتكار .

4. الفن الريفي (Peasant art) :

هو فن تلقائي يتسم بعدم الخضوع لقوانين فنية موضوعية ويأتلف مع الفن الشعبي في كثير من سماته، مع تأكيد عنصر الطبيعة وتأثيره فيه من حيث اختيار الألوان .

5. الفن البدائي (Primitive art):

هو نوع من أنواع الفن ظهر في العصور الحجرية السحيقة، وهو أيضاً فن المجتمعات البدائية في الوقت الحاضر ولكل من هذين النوعين خصائص فنية مميزة.

وكذلك فأن هذه المرحلة من الفن توازي مرحلة الطفولة المبكرة عند الإنسان.

6. الفن الفطري (Native art):

هو فن تلقائي يعبر عن الفنان من خلال أحاسيسه وأحلامه وطقوسه وحياته ومعتقداته وبأسلوب أبسط يتسم بالعفوية والتلقائية.

7. التراث اللامادي (Spiritual in heritage):

هو كل ارث ينقل من جيل إلى جيل على أن لاينفذ على مادة، أي هو تراث شعبي غير مكتوب، كالقصص والأساطير الشعبية.

8. البيئة (Environmenr) :

هي مجموعة الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما وفي مكان ما، لسد حاجات الإنسان، والتي تؤثر تأثير مباشر على الإنسان وبالتالي على المجتمع بعد ذلك.

9. الأدب الشعبي(Folk Literature):

هو ذلك النوع من الأدب الذي ينقل شفوياً أساساً، أي أنه مختص بالكلمة المنطوقة وبمعنى أدق : هو الثقافة عموماً المنقولة شفوياً (التراث الشفوي) .

10.الأسطورة (Mythology) :

هي مجموعة من الحكايات الشعبية، يتميز بها المجتمع البشري، وهي تعبر عن أفكار أفراده ومعتقداتهم.

وهي ليست مجرد حكاية خرافية تُقرأ أو تؤدى لغرض التسلية أو قتل أوقات الفراغ بل إنها مادة علمية توفر إمكانات كبيرة لإنارة المجاهل من الحضارة الإنسانية والمجتمع والشخصية.

التطور التاريخي للفنون البيئية :

الفن البيئي في وادي الرافدين:

تمهيد

يعد وادي الرافدين مهد أولى الحضارات التي عرفتها البشرية ، فقد اكتشف على أرضه أقدم التجمعات البشرية التي سكنت تلك الأرض ومنذ العصور الحجرية القديمة.

وبالرغم من أن إنسان ذلك الوادي عاش حياة بسيطة وبدائية ، لكنه تمكن من أن يتطور وأن ينشئ أولى المستوطنات الإنسانية التي عرفها التاريخ.

وفي الوقت الذي امتهن الإنسان في أرجاء المعمورة الصيد وسكن الكهف، كان إنسان وادي الرافدين قد اختط طريقه نحو التحضر والتمدن بالاستيطان في قرى صغيرة نجد أمثلة منها في شمال العراق في قرية جرمو والتي تعود إلى الألف السابع قبل الميلاد.

وكانت تلك القرى هي البداية الأولى لظهور بوادر تجمعات بشرية مختلفة تنتشر في بقاع شتى من أرض الرافدين قوام حياتها الزراعة. وفي حدود موضوع الفن البيئي فقد كيف فيها ذلك الإنسان (الفنان) مواد الطبيعة ومكوناتها المتوفرة في بيئته المحلية لتتلاءم وطبيعة المكان وطبيعة الجو والطقس الموجود. ناهيك عن أن أرض الرافدين امتلكت أهم مقومة من مقومات قيام الحضارة ، ألا وهي وجود النهرين (دجلة والفرات) بروافدهما التي تنتشر على معظم بقاع المنطقة مما يحقق

أهم مقومات الاستقرار وبناء الحضارة، وهذا ما ساعد إنساننا الأول على تشييد المدن المهمة على ضفافها الخصبة.

العصر الحجري الحديث وفن وادي الرافدين :

من أولى المواد البيئية التي تعامل معها إنسان وادي الرافدين وأنتج منها فنونا بيئية هي الطين .

ونظراً لتطور فترة هذا العصر وكثرة آثاره المادية المكتشفة وتعدد مواقع اكتشافها فقد قسم المؤرخون هذا العصر إلى أدوار وأطوار حضارية لتحقيق نسبة نوعية وطراز الآثار المكتشفة ومميزاتها الخاصة، وأطلق على تلك الأدوار الحضارية أسماء المواقع الأثرية الحديثة التي اكتشف فيها، وبما أن أهم الآثار المكتشفة في هذا العصر هي الأواني الفخارية المزخرفة المنقوشة والملونة والمختلفة بأشكالها وطرازها وطريقة صناعتها فقد اعتمد الباحثون في تقسيم أدوار هذا العصر اعتماداً كبيراً على تصنيف الفخار وتمييز أطواره، وهي:

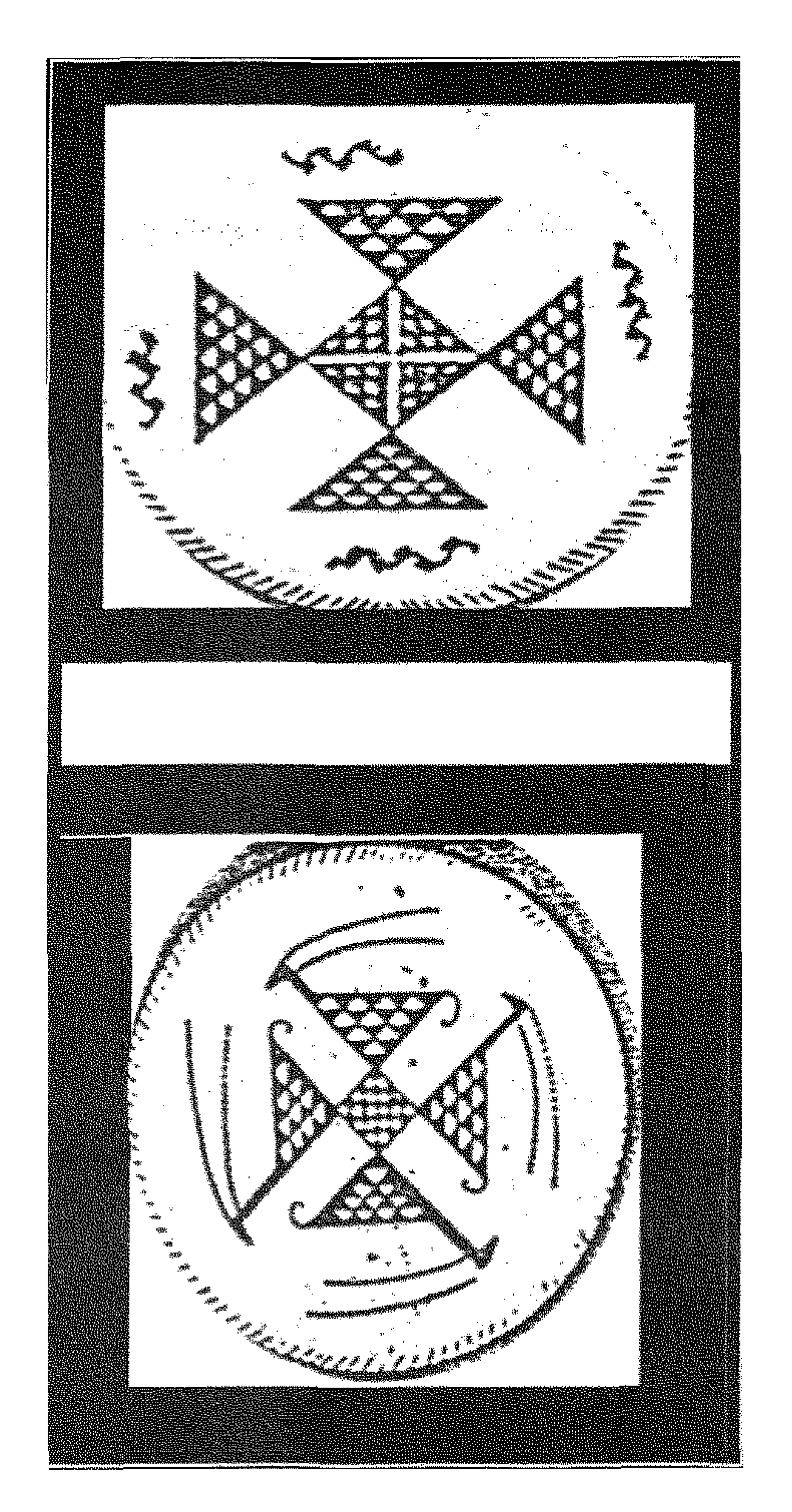
1. طور تل حسونة نسبة إلى موقع حسونة جنوب شرق الموصل بـ35 كيلومتر.
2. طور سامراء نسبة إلى موقع سامراء.
3. دور حلف نسبة إلى تل حلف الواقع على الحدود السورية.
4. دور العبيد.

فخار تل حسونة

المواضيع لم تكن صورية ، تآليف معقدة تفتقر للتناظر وعدم الاهتمام بالنسبة ، وهذا ليس بعجيب وإنما كان عن قصد كما يقول أندريه بارو.

فخار سامراء

يشير الفخار لهذا الطور على تقدم واضح وتحسن في التقنية وفي الحرفة مع اهتمام متزايد بأناقة الأشكال والأدوات الفخارية الغنية بالزخارف وهي عملية اشتراك الخطوط الأفقية بالخطوط العمودية والممتدة والمتموجة ورسم الأشكال التي تشبه عظام السمك أو المضارب اليونانية ، ثم تحولت إلى تصاميم هندسية من أمثال المربعات والمستطيلات والمنحنيات، ثم تحول الفنان إلى مواضيع الحيوان والإنسان والتعبير عن الحياة والحركة كرسم أربعة مخلوقات تشبه الغزالة تدور بوحشية حول شجرة ، وهناك أربعة طيور مائية ذات ريش، كل واحدة منها تمسك بسمكة في منقارها ، كل تلك تدور في حلقة ليست لها نهاية وهي ترمز إلى القوة والحياة الدائمة. كذلك عثر على أشكال بشرية تزين رقاب بعض أواني الفخار رسمت بصورة تخطيطية.



فخاريات سامراء

تل حلف

تميزت هذه المرحلة باكتشاف طرائق صنع المعادن إذ أصبحت الأدوات النحاسية تستخدم بصيغة عامة مما أدى إلى تغير في الصيغة الفنية .وهنا كانت الخامة البيئية الثانية التي كيفها الإنسان الوادي رافديني هي النحاس .، وتم إنجاز دمى تجلس القرفصاء وهن يمثلن أشكال نسائية وقد صبغت أجسادهن في كتل كبيرة وبصدور مائلة إلى الأسفل، أما الرأس فإنه يمثل

بمجرد كرة من الطين. كما توجه الفنان في هذه الفترة لتجسيد الحيوان، من حيوانات تركض إلى طيور تطير وهي فاردة أجنحتها في سماء مرصعة بالنجوم وفي لقطات تصويرية مليئة بالحياة. إلا أن هذه الصفة الطبيعية والتصويرية اتجهت نحو التجريد تدريجياً حيث أدخلت مجموعة كبيرة جداً من الأشكال الهندسية من تل حلف يدل على اهتمام كبير وإحساس بالنبات والحيوان، والأشكال الهندسية تغدو أقل، وربما كان الفنانون يتحسسون من تجسيد الشكل البشري (كما يعتقد أندريه بارو).

دور العبيد

في هذا الدور ابتعد الإنسان عن التوجه الطبيعي في رسم الأشكال الذي كان سائداً في أعالي دجلة، حيث تحول الفنان إلى الأشكال الهندسية التصويرية ثم أشكال المعينات والمثلثات والسلالم والمتعرجات، أما الطيور والحيوانات فإنها كانت تصاغ بطريقة تجريدية.

وقد عثر في هذا العصر على دمى فخارية مجسمة واقفة دائماً ورشيقة وتمسك بطفل أحياناً أو تفتح أيديها في بعض الأحيان، وهن نساء زينهن النحات بحبات صغيرة من الفخار ورؤوسها غير منتظمة تشبه رأس الأفعى .

البيئة كمسكن لإنسان وادي الرافدين :

اهتدى الإنسان بعد تحوله من سكن الكهوف إلى زراعة السهول التي تعتمد الزراعة الديمية أو تلك التي تروى من الأنهار إلى بناء بيوت بسيطة قريبة

من الحقول الزراعية وكانت هذه البيوت بدائية بسيطة وهي عبارة عن حفرة في سطح الأرض كانت تغطى أو تسقف بأغصان الأشجار ثم تطور هذا إلى استخدام مادة أولية بسيطة كانت منتشرة في بلاد وادي الرافدين وهي الطين، وبدأت مراحل بناء البيوت بالشكل الآتي:

- حفر بسيطة في الأرض مسقفة بأغصان الأشجار.
- بناء البيوت بالطين وأصبحت أشكال هذه البيوت ذات نظام عشوائي أي بدون تخطيط هندسي.

استخدام اللبن، ونعني به أن الإنسان في هذه الفترة بدأ يقطع كتلة الطين بقالب مصنوع من الخشب وأن البيوت التي بنيت باللبن كانت ذات نظام هندسي على شكل مستطيل أو مربع وقد استخدم التبن بمزجه بالطين من أجل تقويته أو تسليحه ليصبح أكثر تماسكاً ، أما تخطيطات هذه البيوت فإنها تتكون من ساحة مركزية في الوسط تتوزع على جوانبها بشكل موضعي مجموعة من الحجر (الغرف). إن البيوت البسيطة للفلاحين كانت مسقفة بجذوع

- مسقفة بجذوع وأغصان الأشجار والمساحات تبقى غير مسقفة ، أما بيوت اللبن فإنها أخذت الشكل الهندسي أيضاً على شكل مساحة وتتوزع عليها الغرف على شكل أضلاع، وسقف الحجرة يكون من جذوع الأشجار وأغصانها تطلى بالطين، أما الأرضية فقد استخدموا القصب وطلوها بالطين لكي يتخلصوا من الرطوبة . وبعد أن

تكاثرت هذه البيوت في موقع واحد توزعت على دروب وشوارع وكانت بشكل عشوائي، وكانت هذه أولى القرى في الزمن القديم وظهرت بشكل مجمع سكني أو قرى في العراق القديم يشير إلى أن القرى الموسمية أي المسكن فيها موسمي لموسم زراعي واحد ثم ينتقل إلى مكان آخر ليبني بيته في مكان آخر يطلق عليها (القرى الموسمية) ومن ثم تلحقها قرى زراعية ثابتة، وأولى القرى هي (كريم شهر، زاوي صبحي، ملفحات)، أما أولى القرى الزراعية الثابتة أو الدائمية في العراق القديم وفي العالم (جرمو في العراق في شرق مدينة كركوك) .

ظهرت في هذا العصر أبنية تؤدي وظائف عامة شملت بعض القرى الزراعية الأولى، وهي تشير إلى أبنية دينية كالمعابد . وأهم مميزات المعابد هي أن جدرانها الخارجية كانت مميزة بعنصر عماري يطلق عليه (الطلعات والدخلات)، أي أن الجدار لا يكون مستقيم صقيل، وإنما كانت تشغله بعض الطلعات والدخلات لغرض إظهار الجدار وتقويته من أجل إضفاء جانب جمالي على هذه الجدران، وتشكل أيضاً انعكاسات للظلال على الجدران لا تمله عين الناظر، وهي ميزة عمارية استمرت كسمة لجدران المعابد الخارجية في عموم الفترات التاريخية لعموم حضارات العراق القديم . ومن أهم الجوانب تكيف الطين واستخدام اللبن .

الفخار (أحد الفنون البيئية) :

كان الإنسان قبل أن يهتدي إلى فنون (الفخار) قد استخدم أواني مصنوعة من لحاء الأشجار وبعض أغصانها المصنوعة على شكل سلال بطن بعضها بالجبس لكي تحمل السوائل، كما استخدم أواني من الحجر بعد تحديدها ، كما استخدم الإنسان أواني مصنوعة من الطين ولكن حين تتعرض هذه الأواني إلى الحرارة فإنها تتصلب ولا تسمح بالسوائل بالتسرب منها فبدأت صناعة الفخار في العصر الحجري الحديث وأن الأتربة كانت تشكل باليد من قبل ربات البيوت وتشوى في مواقد ، وبهذا فإن الفخار الأول كان بسيطاً مصنوع من طين غير نقي يمزج نوعاً ما بالتبن ويتميز بسطوح خشنة غير مطلية ولا مدلوكة ، وأن أسلوب حرقها كان رديئاً زينت بشكل وحدات هندسية على شكل خطوط ملتوية أو مستقيمة واستخدم لون واحد وهو البني الذي ينتج من التربة ويضاف اللون لسطح الآنية وإضافة صموغ لتثبيت الألوان ، ومن ثم تفخر بالنار لتظهر الآنية بشكل نهائي. أي أن في وسط هذا العصر قد ظهرت فخارية متطورة وأصبحت الآنية تصنع من طين مغسولة ومصفاة من الشوائب بشكل جيد وبأسلوب جيد في الحرق بدرجات حرارة عالية ، وطليت هذه الأواني بطبقة من الطين النقي الذي عليه نفذت الزخارف وتنوعت أشكال الأواني من جرار وصحون وكاسات وقوارير ، وبصدد الزخرفة فهي هندسية ومنحوتات بارزة ومجسمة كالحيوانات ، وازدهرت في هذا العصر فخاريات رئيسية .

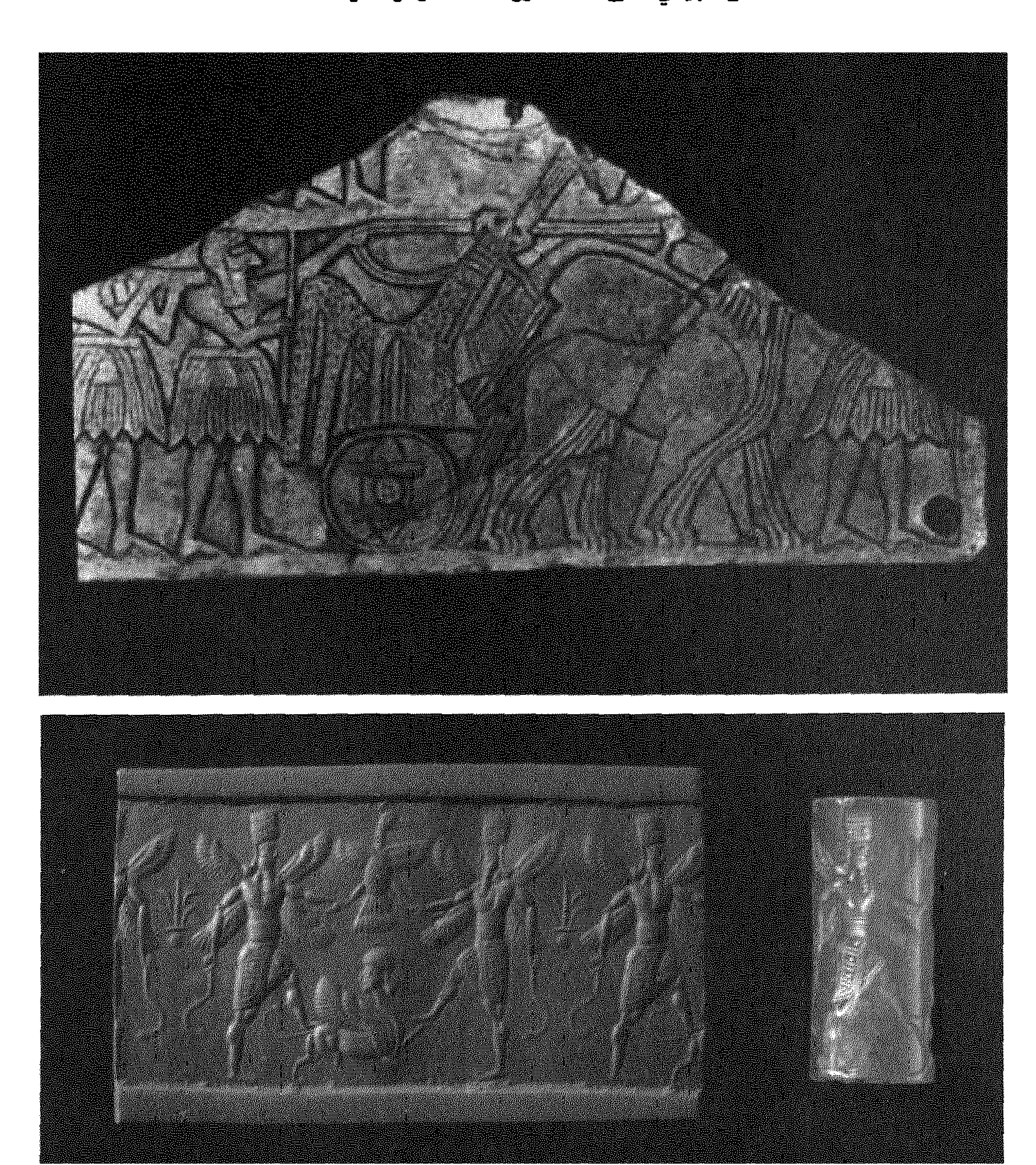


فنون العصر الشبيه بالكتابة

تمثل هذه الفترة مرحلة انتقالية دقيقة بين عصور ما قبل التاريخ وعصور تاريخية، وسمي هذا العصر بـ (عصر شبيه بالكتابة) لظهور أول ملامح للكتابة الصورية التي اعتمد فيها على الشؤون الاقتصادية، ولم تكن تهتم بالشؤون السياسية، وكانت صورية أو شبيهة بالكتابة ويحدد العلماء بداية ظهورها في العراق القديم إلى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد وبحدود (3500 – 3200) ق.م. وأن ظهور العلامات الصورية أو الكتابة قد ظهرت في مدينة الوركاء وهي تقع في المثنى في الوقت الحاضر وجمدة نصر التي تقع بالقرب من مدينة بابل الأثرية بالقرب من مدينة كيش.

شهد هذا العصر ازدهار حضاري، فقد توسعت الزراعة وظهرت القرى الزراعية الواسعة التي أقيمت على آثار مدن شكلت دويلات المدينة العراقية القديمة، كما ظهر في هذه الفترة نشاط تجاري واسع، ونتيجة لهذا الإثراء الاقتصادي فإن المدن بدأت ببناء أسوارها الخارجية للدفاع عن نفسها، ويحكم كل هذه الدويلات حاكم من بين سكانها يكون الأقوى والأجدر في قيادة مجتمع ديني.

تطورت الأفكار الرئيسية في هذا العصر ونضجت للإنسان جملة معبودات تشير إلى جملة ظواهر طبيعية كانت قد أثرت في حياته سلباً أو إيجاباً، وأهم هذه المعبودات هي (أيار المسؤول عن الأرض والماء) والإله (آنو المسؤول عن السماء) و (عشتار المسؤولة عن الخصب والنماء)، وغيرها من المعبودات، طبقاً لعبادات الظواهر الطبيعية، وبهذا قد اتسمت ديانة العراق بمبدأ تعدد الآلهة، إلا أن العراقيين القدامى لم يؤمنوا بمبدأ الحياة بعد الموت فلم تظهر لديهم طقوس في المخلفات الفنية التي تشير إلى حياة ما بعد الموت، وفي مجال الفن فإن العصر شبيه بالكتابة ظهرت فيه جوانب فنية عديدة وهي تعد أساس الفنون البيئية في الحضارة العراقية، فقد بدأت في هذا العصر الأبنية التذكارية والتحسس الجماعي لخواص الأبنية وظهرت أنواع نحت مجسم وبارز في الأختام الاسطوانية والجداريات والفخاريات.



تطورت المساكن التي ظهرت في العصور السابقة في هذا العصر على أساس من الحجارة على الرغم من عدم توفر الحجارة في منطقة الجنوب فإنها قد استوردت الحجارة من المناطق الأخرى، أما المعابد فأنهم أقاموا معابدهم على مصاطب من اللبن لرفع الأساس (أساس المعبد) أو لغرض التقرب من الآلهة التي كان يعتقد العراقيين القدامى أنها كانت تسكن في الأعلى وابتدأ عصر

آخر دون الاهتمام بكلف البناء ، وظهرت أول بوادر ظهور الزقورة أو الأبراج المدرجة في حضارة العراق القديمة ، وبنيت هذه المعابد بنوع من اللبن ويطلق عليه (ابن شن) وهي تسمية ألمانية لبناء مستطيل الشكل مربع المقطع يحيط بالمعابد. وكما هو الحال في العصور السابقة جدرانه متمثلة بالطلعات والدخلات وتتوسط البناء مساحة مكشوفة تتوزع جوانبها حجر ، وفي النهاية البعيدة حجرة بعيدة يطلق عليها الحجرة المقدسة ، وزينت المعابد في هذه الفترة بالطلاء بالجص ، فقد ظهرت المعابد البيضاء وكذلك زينوا المعابد بالفسيفساء (ضرب من التزيين على شكل قطع من الحجر الملون والزجاج تلصق على الجدران لتشكل المشهد المطلوب) . كان العراقيون القدامى يزينون بها بشكل مخاريط من الطين ومن ثم يلونون رأس المخروط بألوان مختلفة يأخذون هذا المخروط ويوضع في الجدار ويشكل زخرفة ، وكانت على شكل خطوط متموجة تغرس بأنظمة هندسية متنوعة على واجهات الأبنية على شكل معينات ، وقد وجد هذا النوع من الزخرفة في أبنية الوركاء (البناء الأحمر).

النحت

شهد النحت وضع الأسس الأولى في العراق القديم وهو على نوعين ، البارز والمجسم ، وعلى الرغم من افتقار أهل العراق إلى الحجر فقد قاموا باستيراد الحجر من مناطق أخرى ، وهناك أنواع من الحجر (الكلسية ، البازلت ، الأسيلات) .



نحـن إزاء المنحوتـات المجسـمة فـان أسلوب تنفيـذ هـذه المنحوتـات فإنـه كـان بشـكل بـدائي، فكانـت سـطوح التماثيـل خشـنة غير مستوية والتشـريح والنسب غير متجانس، أو تكون على شكل كتلة حجرية ، إلا أنه استطاع أن يميز أعضاء الجسم بواسطة خطوط أو أخاديد تميز به الأعضاء، ومن أهم أمثلة النحت المجسم هـو رأس الفتـاة السـومرية الـتي كانـت بحجـم طبيعـي

مصنوعة من الرخام الأبيض عثر عليها في مدينة الوركاء أطلق عليها المؤرخون فتاة الوركاء . تميز أسلوب النحت بقوة تعبيرية ، ويعد هذا النحت من أجمل نماذج تاريخ الفن القديم أبدع الفنان في صقل سطح الوجه ،و تميز بانسجام دقيق أما الشفتان فهما رقيقتين تشيران إلى إنها تبتسم .



أما النحت البارز فقد نفذ على حجر فقط في حين أن النحت المجسم كان مصنوع من الفخار ، وكان يعبر عن مواضيع دينية أو فعاليات كان يعتز بها الإنسان وهي فعاليات الصيد أو صراع بين البشر والحيوانات. أسلوب التنفيذ لهذه المنحوتات كان يجري بطريقتين، الطريقة الأولى بنشر المنحوتات على قطعة الحجر بشكل حر وباستخدام الأشرطة التي سلسل فيها الفنان تلك المشاهد ، أما طبيعة تنفيذ الأشكال المنحوتة البشرية خاصة فإن الوجه قد

نفذ بشكل جانبي والعينين بوضعية أمامية والجذع بوضعية أمامية أيضاً ، أما السيقان فكانت بوضع جانبي .

ويعتقد مؤرخو الفن القديم سبب ذلك أن أعضاء الجسم صورت هكذا فإن هذه الأعضاء هي الأفضل والأوضح إن أوضح وضع لملامح الوجه هو الوضع الجانبي وأفضل وضع للعين هي الوضعية الأمامية وأحسن وضع لزاوية الجذع هو الوضع الأمامي لإظهار الجسم فيها وتشريح عضلات الصدر ، أما أفضل وضع للساقين هو الوضع الجانبي لإظهار تشريح عضلات الفخذ والساق، ومع ذلك فإن الفنان لم يعتن بالمنظور ، أي ظهرت الرسوم القريبة بنفس البعد للرسوم البعيدة كون الفنان هنا لم يعتن بصقل الحجر الذي نفذ عليه النحت، فكانت الأحجار غير منتظمة الأشكال، إذ يقوم بصقل الأجزاء التي يريد تنفيذ المشهد عليها فقط ويقوم بتحديد الشكل والخطوط الخارجية ثم حفر الأرضيات لإبراز الشكل وخير مثال على ذلك : مسلة الأسود (نثر حر) والإناء النذري .

ومن الفنون التي طوع فيها إنسان وادي الرافدين خاماته لها هي الأختام الاسطوانية :

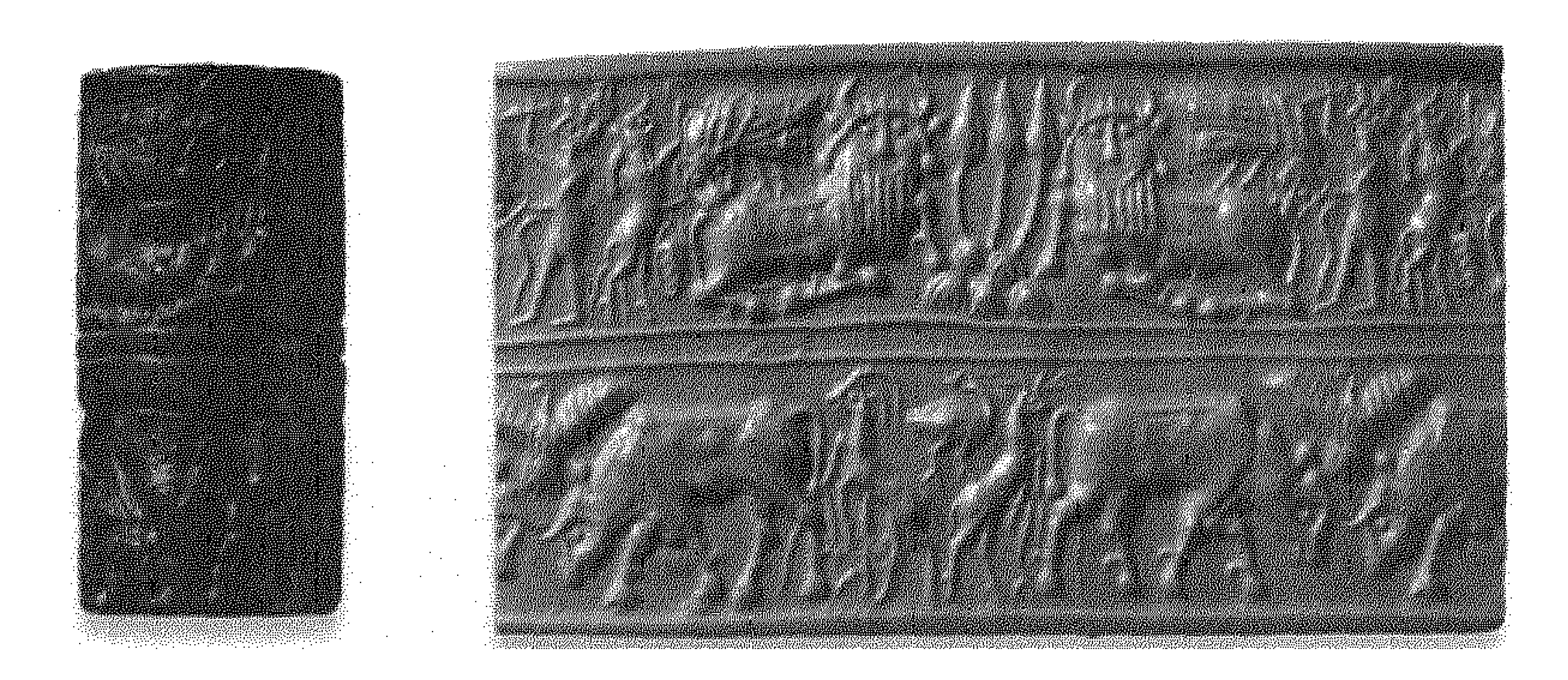
وهي واحدة من أهم المظاهر الحضارية ، ويقصد به عبارة عن خرزة اسطوانية تصنع من الأحجار أو المعادن ويتراوح طولها ما بين (2 – 7) سم وقطرها يصل إلى (2) سم، وهذه الأختام تكون مثقوبة طولياً أي يسمح للخيط بالمرور خلالها لكي تعلق في رقبة أو يد الشخص، وتعد من المقتنيات

الشخصية. أما طريقة العمل أو النقش على الأختام الاسطوانية فهو حفر المشهد على سطح الختم بشكل غائر ومعكوس بحيث يوضع الختم على الطين ويترك لنا أثراً.

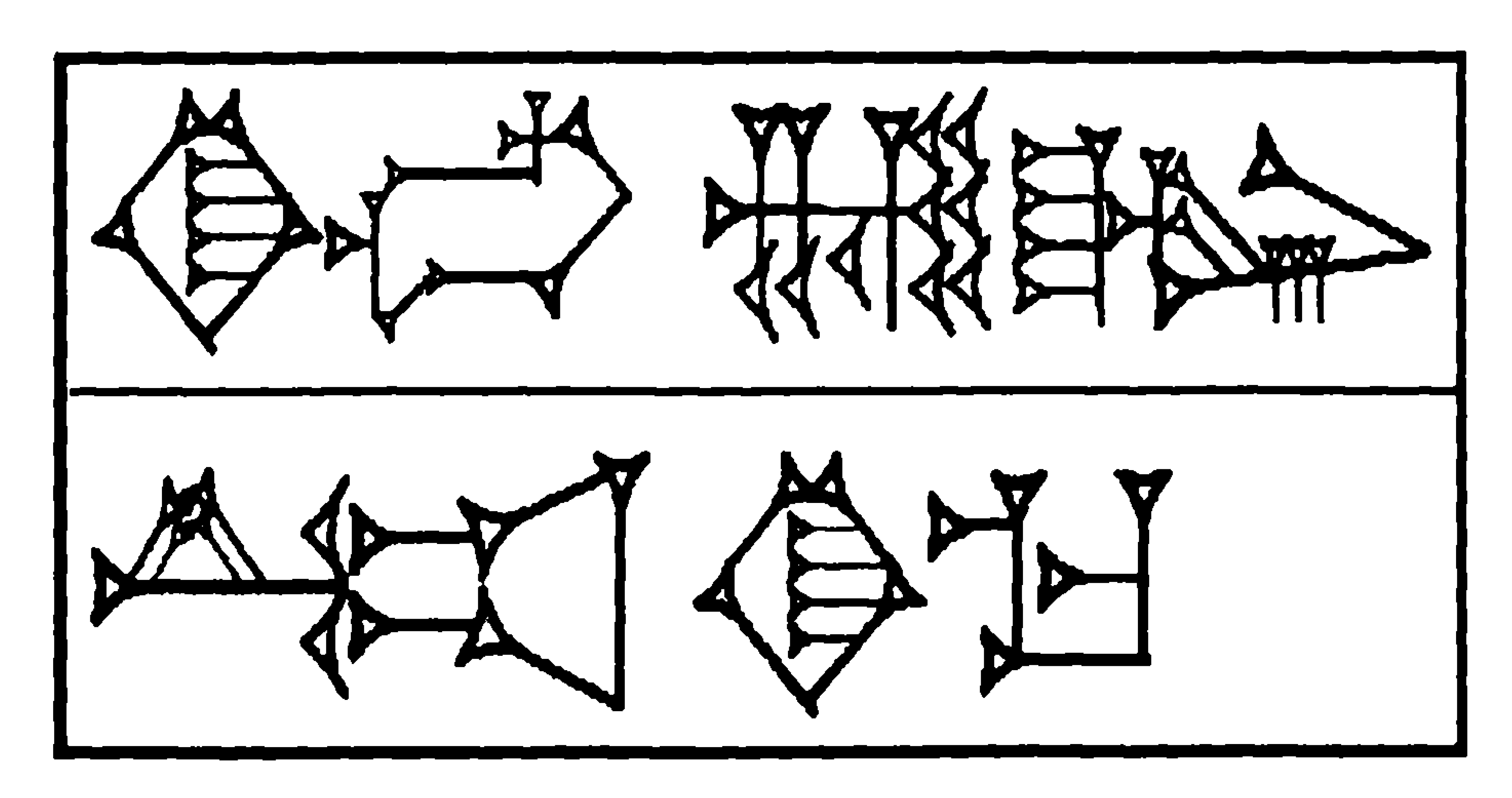


من خواص الأختام

1. أنها كانت مصنوعة بمختلف الأحجام.
2. كانت تمثل مشاهد حربية تتعلق بالمعارك التي كانت تدور بين دويلات المدن.
3. مشاهد صيد تمثل مطاردة الإنسان للحيوانات المعروفة في محيطه وخاصة الغزلان، وكان النحات يعبر عن المشاهد بواقعية وهو يرسم صور الحيوانات في محيطه.



بعد عصر العبيد الذي بدأ في الألف الرابع قبل الميلاد والذي يمكن تتبع تطوراته المتعاقبة عبر القرون، كانت الحضارة العراقية تسير بخطى واسعة وسريعة.



جاء السومريون ليختلطوا بالسكان الأصليين ليضيفوا منجزات جديدة إلى منجزات السكان الأصليين. وقد كان مجيء السومريين له أثره الواضح في توجيه الفن وتطوره، وذلك ما يمكن ملاحظته في فخاريات سومر التي تبدو أكثر تخيلاً وإيحاءً من فخاريات العبيد بأشكالها وزخارفها الهندسية الصارمة، وصورها الحيوانية الغير مرتبطة . لقد ارتبط ظهور السومريين

بحقيقة تقدم العمارة، أما النحت فقد بدأ التمهيد له ليشكل بعد ذلك طريقاً زاخراً بمختلف الأعمال التحفيه الفريدة، إضافة إلى اختراع الكتابة.



ومن الفنون التي عرفت بأوسع الأبنية الدينية التي تم اكتشافها هي مدينة الوركاء، مدينة البطل كلكامش وأور وآشور. وقد أخذ السومريون ممن سبقهم في الفنون وأضافوا عليها الدقة والفخامة.

زين السومريين جدرانهم بنوع من الفسيفساء فقد قاموا بوضع مسامير أو مخاريط فسيفسائية لغرض تزيين الجدران وتنويعها، وكذلك تغطية الأعمدة الضخمة، اذ اخذوا يضعون في طبقة من الطين آلاف من المسامير ذات المساحات المختلفة من الألوان (الأسود والأحمر والأبيض) بطريقة لا تظهر

سوى رؤوسها ، إذ تؤلف أشكالاً متقاطعة ومتكسرة ومتعرجة من معينات ومثلثات.

ومن الفنون البيئية التي أبدع بها السومريون هو النحت على المرمر وخير مثال على ذلك : الإناء النذري :

وهو إناء كبير من المرمر عثر عليه في الوركاء مزين بنحوت ناتئة في مجموعة حقول وهي سومرية في ترتيبها ، والنحوت الناتئة يمكن قراءتها من الأعلى إلى الأسفل وبالعكس دون أن يؤثر ذلك على معناها ، وقد عرف هذا بـ (إناء الوركاء) وموضوع هذا الإناء هو العبادة والتي مثلت بشعاراتها وهي حزمتان من القصب وضعتا جنباً إلى جنب وهما ترمزان إلى مدخل المعبد. وهناك طابور طويل من حملة الهدايا يقتربون منه ، وهم على هيئة رجال يحملون سلال الفاكهة والزهريات . ويعد هذا الإناء أقدم إناء ديني منحوت من الحجر تم اكتشافه في العراق.



ومن الخامات البيئية التي استفاد منها السومريين هو القصب الذي كثر في البيئة التي عاش فيها السومريين (وهي بيئة الأهوار) وتسمية السومريين تسمية أطلقت على ملك السومريين، وتعني (ملك القصب) لأن القصب كان ولا يزال ينمو في الأهوار جنوب العراق وسومر بلاد القصب.

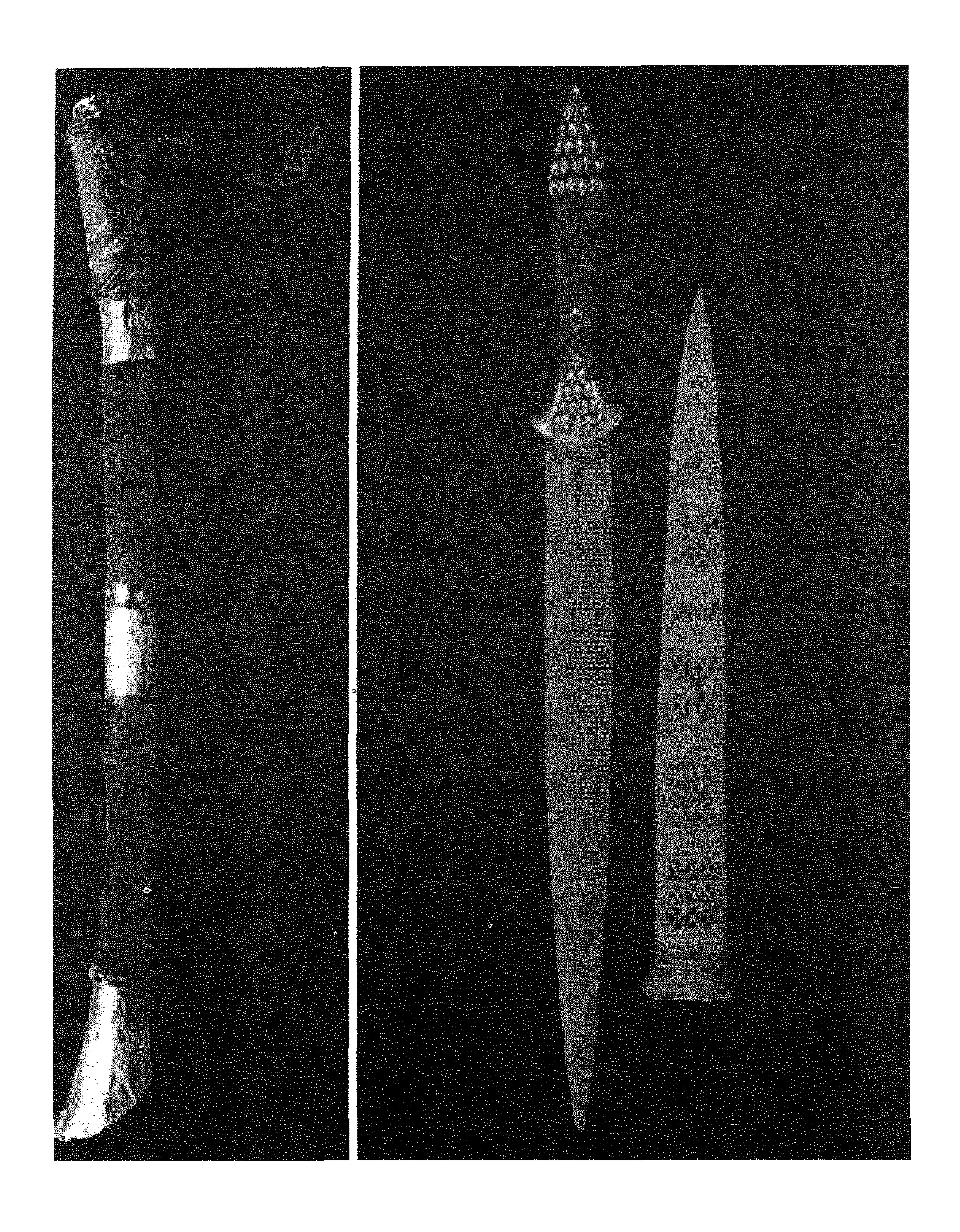
تميز العصر السومري بغزارة الإنتاج الفني لاسيما في الفنون التي اعتمدت على خامات الطبيعة واتسم بالإبداع والأصالة، ويعود هذا إلى وعيهم

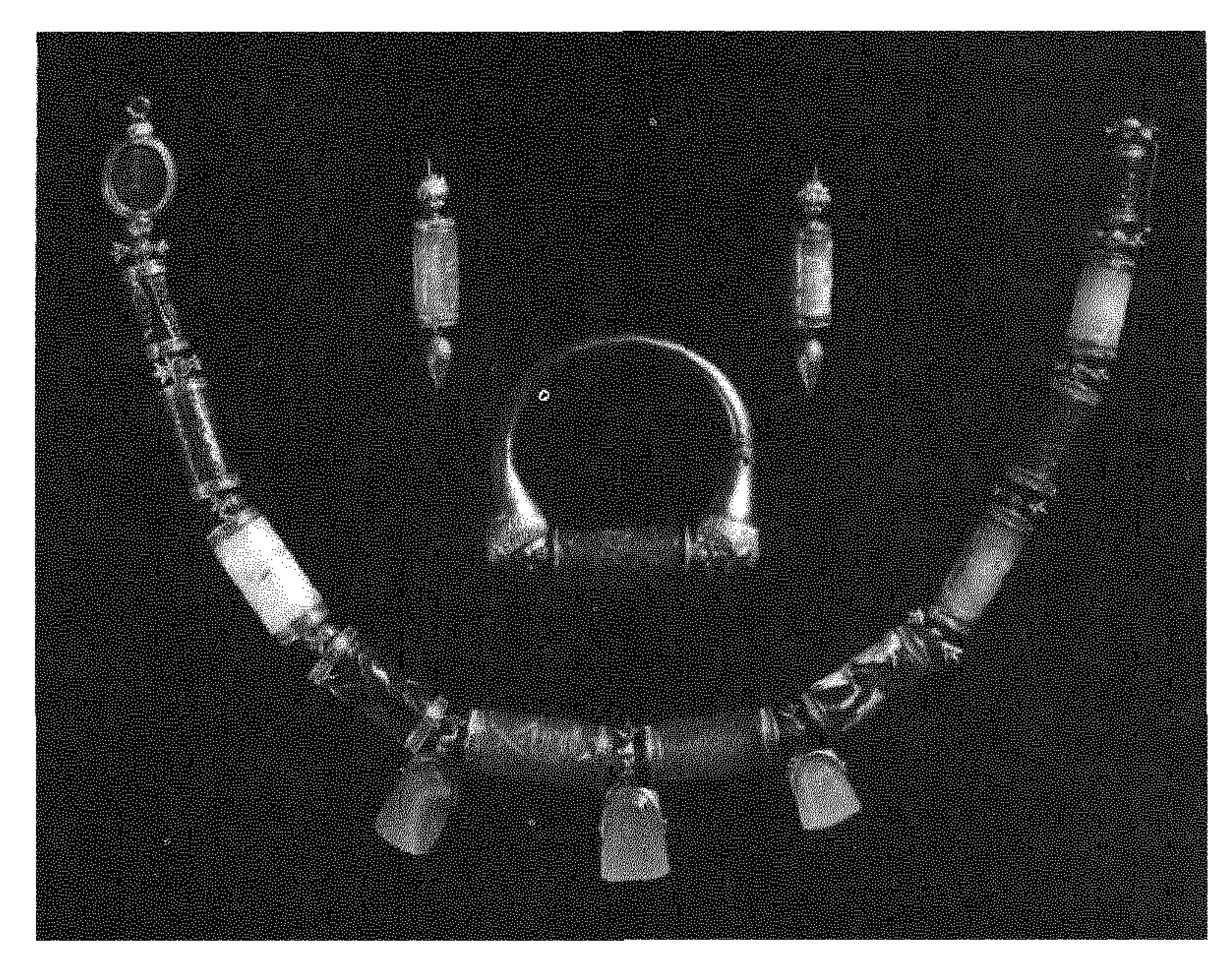
في تخليد أعمالهم السياسية والعمرانية بصفة منحوتات تصور جميع أعمالهم لتبقى شاهداً لمنجزاتهم للأجيال القادمة.

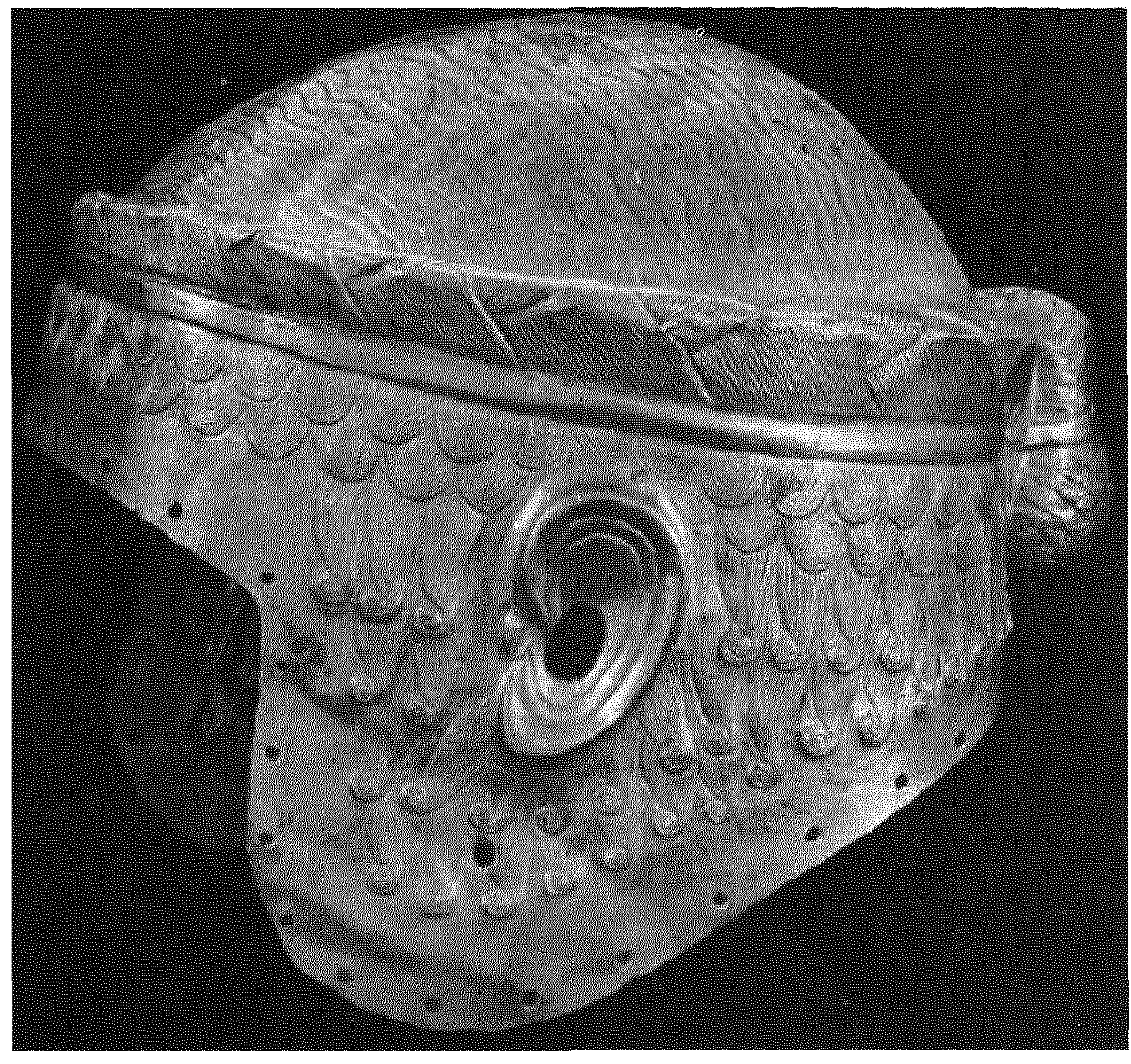
أما الفخار السومري :

فقد تميزت الفخاريات بكونها مصنوعة بدولاب الخزاف وليس باليد ، وعملت من الطين نقية مزجت برقائق صغيرة من الطين مطلية بطلاء يميل إلى اللون الأحمر كأرضية للنقش أو الزخرفة ، حملت ألوان منها من واحد أو أكثر. أما الألوان الشائعة فهي البني والأحمر والأسود . أما أهم المواضيع الزخرفية فهي أشكال حيوانات مرسومة باللون الأسود على الأرضية الحمراء ، كما ظهر نوع من الفخاريات غير معتنى بصناعته ومصنوع من طين غير نقي وخالي من الزخارف ، وقد استعمل للشؤون الدينية .

وبسبب التقدم الفني فقد اهتدوا إلى صناعات دقيقة ومنها الحلي على شكل أقراط وأسوار مصنوعة من معادن ثمينة كالذهب والفضة ، إضافة إلى صناعة الأسلحة . كما ظهرت بعض الملابس العسكرية المصنوعة من مواد ثمينة ، وكانت للملوك ومنها الخوذة الذهبية التي عثر عليها في المقبرة الملكية في أور والخنجر الذهبي والقيثارة المصنوعة من الخشب والعاج والذهب .







وبمجيء البابليين بدأ عهد جديد في الفنون البيئية :

فقد ظهرت خامات جديدة في المنجز الفني ومن أهم الأمثلة على ذلك مسلة حمورابي فقد صنعت من حجر الديورايت الأسود بشكلها المستطيل النهاية وبشكل مخروطي، وتشير إلى شريعة الملك. في مدينة (سبار) التي نفذت فيها المسلة وهي مقسومة إلى قسمين، القسم الأعلى يمثل مواضيع دينية والقسم الأسفل كتب عليه بالخط المسماري 282 مادة قانونية.

أما النحت،فقد شاع هذا الفن باستخدام نحت الفخار، وقد اعتمدوا النوعين المجسم والبارز، وكانت نوعية التنفيذ بالصب بالقالب والعمل باليد. ومن أهم النماذج هي الأسود وكانت توضع في بوابات المدن كملاك حارس لحماية هذه الأماكن.

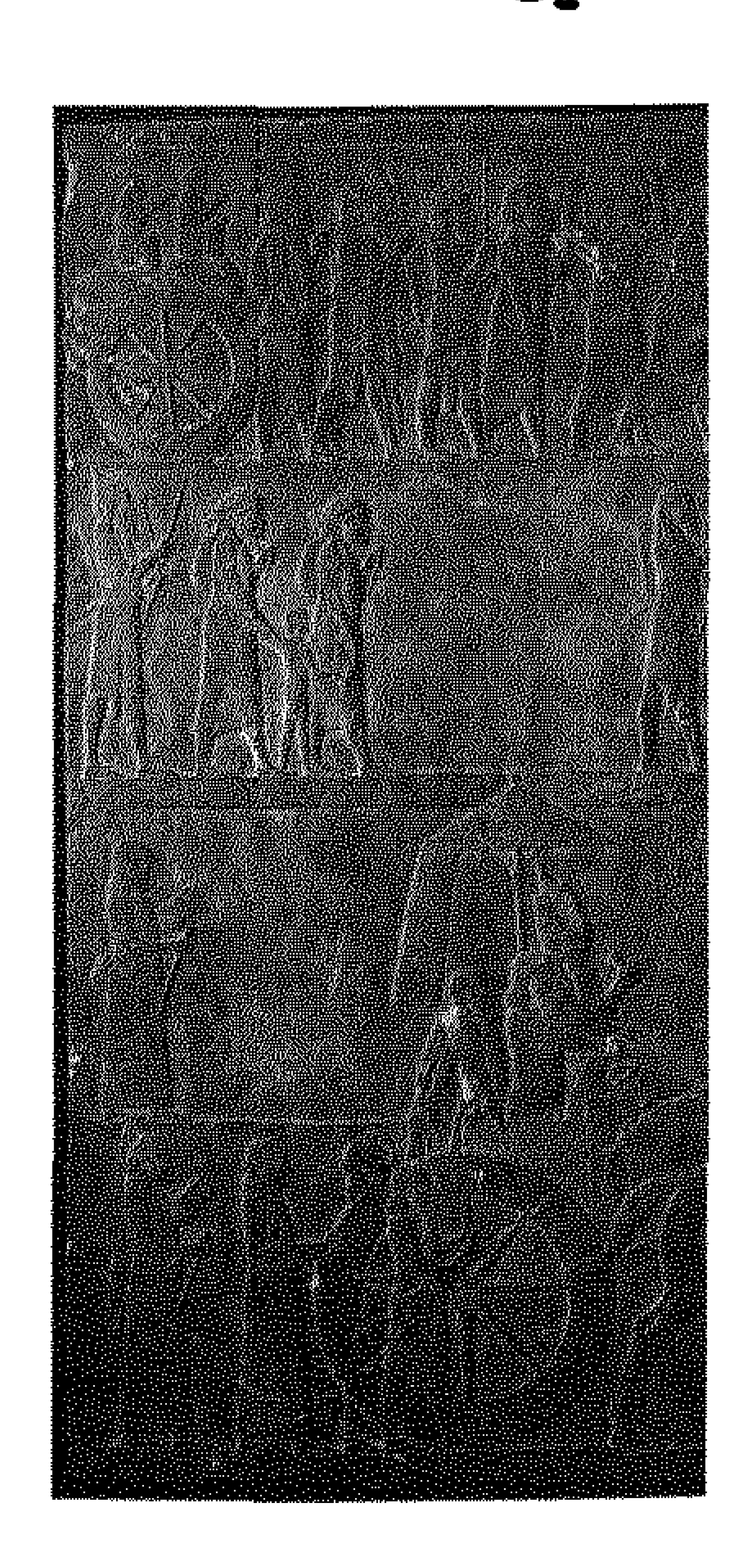
إضافة إلى ذلك فقد استخدمت الرسوم لتزيين الغرف وقاعات البلاط والمساحات المطلة على ساحة القصر، وكانت تنفذ بعمل أرضيات من اللبن أو الجبس، وبعد إكمال الأرض تقسم إلى مربعات لغرض ضبط نسب الأشكال، وكانت تلون بألوان مختلفة، واعتمدت طريقة التناظر والتقابل. كانت تجرى طريقة الرسم بواسطة الأشرطة والنثر الحر. أهم الألوان المستخدمة هي ألوان طبيعية موجودة في الطبيعة بعد سحقها بالماء وإضافة مادة لاصقة، وأهم الألوان الأحمر وكان يضاف إليه الأكاسيد للحصول على اللون الأحمر القاتم، و الأحمر للبشرة والأسود للشعر، والأبيض للأرضيات وبعض الملابس،

وقد استخدم مع الحجر الجيري اللون الأخضر والأزرق بإضافة الرمل إلى النحاس واستخدم لتلوين الأشجار. وكذلك استخدم اللون الأسود وهو لون طبيعي من الفحم أو الهباب، ومن أهم المواضيع:

1. **تتويج الملك زمري أي تنصيب الملك على العرش.**



2. **مشاهد يومية للفلاحين.**



وإذا تركنا بلاد بابل واتجهنا إلى الشمال نجد بلاد آشور : ويعد الآشوريون أمة حربية وهي أول أمة استطاعت أن تقيم إمبراطورية واسعة.

امتازت ببناء المدن، أي أن أغلب الملوك كانوا يقومون ببناء مدينة، وقد تعددت المدن والعواصم الآشورية، والعاصمة آشور هي مدينة آشورية وتبعتها مدينة نمرود ومدينة خرسباد ومدينة نينوى ومدينة دور – كوري – كالزو. وتميزت المدن بالحصانة العسكرية وتكون المدينة منظمة ازدحمت فيها مجموعة من الممرات تبدأ بقصر الملك بجواره المعبد وبجاره باحة المعابد كانت تقوم فيها الزقورة، وكانت الزقورة بشكل اسطواني أي السلم يلفها بشكل حلزوني حتى الطابق الأخير، وقد بنيت أساسات المدينة بالحجارة لتوفرها في الطبيعة .

نأتي الآن إلى ذكر النحت البارز كأحد الفنون التي استخدمت البيئة في بلاد آشور :

فقد مثل النحت البارز السجل الآشوري لأعمال الملوك الحربية والدينية، وقد تميزت بصقل الأحجار بالأزميل بشكل جيد ودلكها بأحجار خشنة لكي تكون ملساء وتنفيذ المشاهد عليه، وكانت بأسلوب النحت البارز والعالي لأن الفنان مثل الحيوانات بالحجم الطبيعي ومشاهد كثيرة وتميزت بعض اللوحات بتنفيذ الأشكال الأسطورية أي مزج الحيوانات مع البشر لإظهار أشكال للتعبير عن حالات في الدولة الآشورية. اعتمد الفنان أسلوبين النثر الحر وأسلوب الحقول (الأشرطة)، وهناك نوعين منه : مسلات وألواح، وأهم

المسلات هي المسلة السوداء وهي مسلة الملك شبه نصر الثالث ، وسميت بذلك لأنها عملت من الحجر الأسود وكانت بشكل عمود طويل نحتت عليه معركة للملك شبه نصر.

أما الألواح التي كانت تنحت على الجدران وأهمها ظهور الملاك الحارس وكانت تقام في البوابات بشكل عظيم، وقد أبدع الفنان في تشكيلها ، وأهمها الثور المجنح .

1. وبسبب عدم توفر الأفيال في بلاد الرافدين فقد أصبح العاج نادراً جداً ، لقد بدا استيراد العاج من قبل الآشوريين لاستعماله في النحت المجسم والنحت البارز وعلى شكل تماثيل تخرج من الأثاث، وصناعة بعض الأثاث أي تطعيم بعض الأثاث بالعاج وصناعة الصناديق التي تضم حلي النساء .

عملت بعض المشاهد وأهمها في النحت البارز وقد طعمت بالذهب وبذلك أصبحت التحفة الفنية ثمينة جداً ، من الأمثلة تحفة فنية تمثل رجل تحاول لبوة افتراسه وهو يحاول إبعادها ، وتمثل على أرضية من زهور اللوتس وقد وجدت في نمرود. النحت المنفذ على العاج يمتاز بصغر الحجم بسبب ندرة العاج .

((المقومات التي كانت وراء نشأة الفنون البيئية الرافدينية)) :

البيئة الطبيعية

كان وجود النهرين شيئاً مهماً وعظيماً جعل العراقيين القدماء يطورون نظم الري ويشقون القنوات لتصريف مياه الأنهار بشكل منتظم للتقليل من سرعة الجريان ولتوفير المياه اللازمة للأراضي الزراعية.

ولا يخفى على أحد أن أرض الرافدين معروفة ببيئتها القاسية على حد ما (من درجات حرارة عالية وطول فصل الصيف وبالمقابل قصر فصل الشتاء "موسم الأمطار") ثم الطبيعة الجافة وكثرة العواصف الترابية. كل هذا أدى إلى اكتساب الفن في وادي الرافدين نمطاً مميزاً.

البنية الاجتماعية

مرت على العراق أقوام عديدة ، أقاموا فيه وأسسوا المدن والتحضر التي مهدت لقيام الحضارات الوادي رافدينية العريقة.

المفاهيم والمعتقدات الروحية

شعوب وادي الرافدين القديمة هي شعوب شديدة التأثر بالمعتقدات الدينية والروحية والتي شكلت حجر الأساس في حياتها وفي نظرتها إلى العالم من حولها وهذا ما انعكس حتى على أسلوب تعاملها.

أنتج أبناء وادي الرافدين القدماء ومنذ عهد السومريون آداباً متطورة جداً ذات طبيعة شعرية قوامها الملاحم البطولية (Epics) والأساطير (Myths)

والتراتيم (Hymns) والأسفار (Lamentations) والأقوال المأثورة (Proverbs) وكلمات الحكمة (Words of Wisdom).

مقومات الفن البيئي ودور المواد الأولية في ذلك

يتأثر قيام الفنون بشكل مباشر بالطاقات الكامنة في البيئة الطبيعية والتي من أهمها تلك الطاقات الكامنة في الموقع الجغرافي ولاسيما التربة. وفيما يلي وصف لدور المواد الأولية في تشكيل الفن الرافديني القديم، لاسيما الفن البيئي :

1. القصب والبردي: يعد من أقدم المواد في وادي الرافدين والذي لا يزال يستخدم لاسيما في مناطق الأهوار.
2. الطين واللبن: وهو الآخر يعد مادة أساسية في جنوب وادي الرافدين ووسطه، وهو ما خلق علاقة وطيدة بين هذه المادة (الطين) وإنسان وادي الرافدين (علاقة روحية مقدسة) ارتبطت بأساس الخلق الإنساني ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ (سورة الصافات، الآية 11).
3. الحجر: فقد استخدم الحجر في معظم الفنون الرافدينية القديمة .
4. الخشب: إن أكثر أنواع الخشب شيوعاً في جنوب أرض الرافدين هي جذوع النخيل.

5. الجص: استخدم كخلفية للرسومات الملونة واللوحات النحتية البارزة (Bas-Relief) التي تغلف جدران القصور والتي شاع استخدامها منذ العصور السومرية الأولى.
6. الإسفلت: عرف ساكني وادي الرافدين مادة الإسفلت (القير) والذي استخدم بعدة أشكال:

أ. مادة إكساء عازلة للمياه في أحواض الماء وفي ساحات البيوت والمعابد وهي تقنية اعتمدت منذ نهاية الألف الثالث قبل الميلاد.

ب. مادة رابطة في الجدران المشيدة بالآجر كما يظهر في العديد من الأبنية في وادي الرافدين القديم.

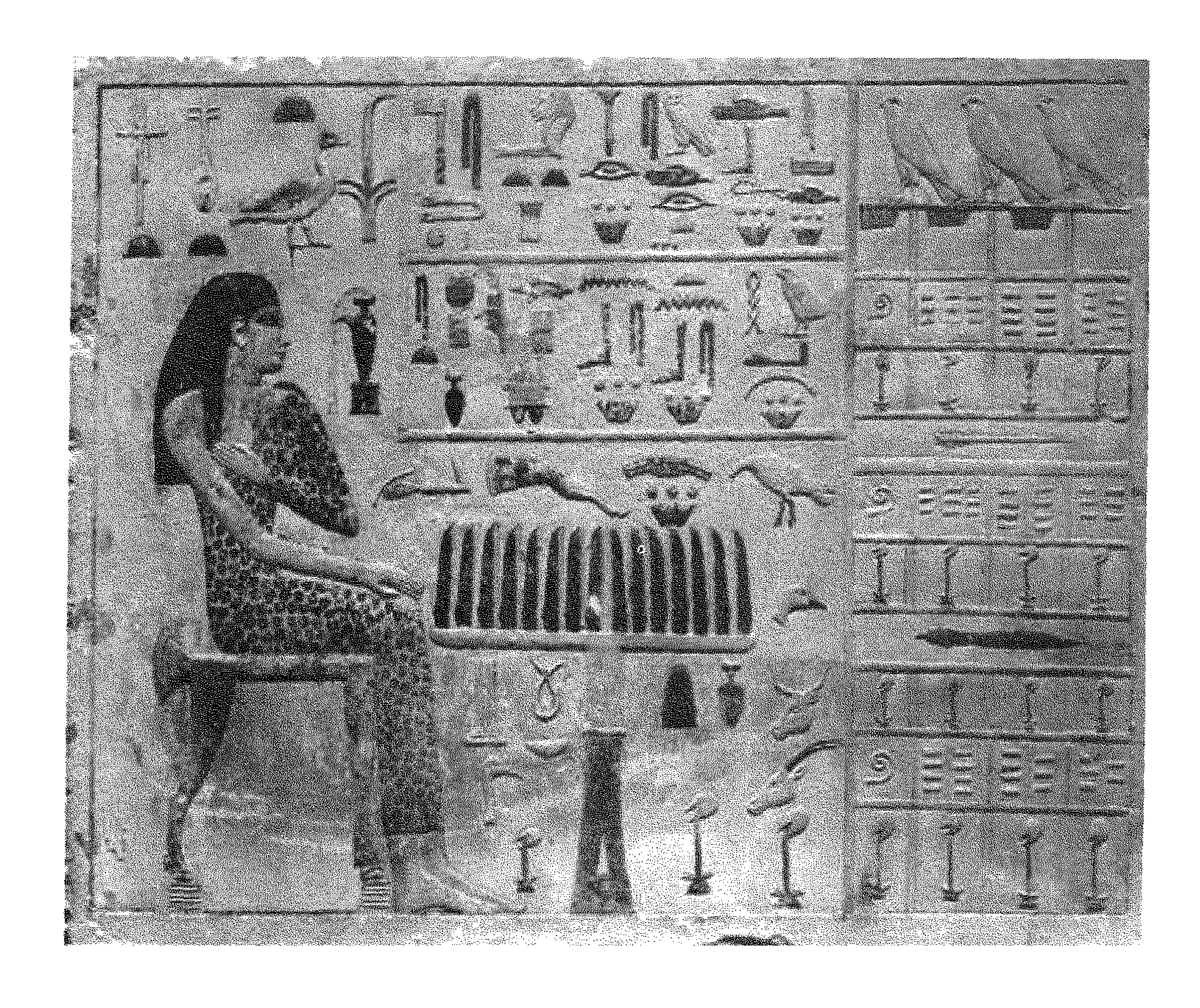
7. المعادن: عرف وادي الرافدين العديد من المعادن منها النحاس، البرونز، الذهب والتي استخدمت معظمها لإضافة لمسات تكميلية على الأعمال الفنية وعمل الأفاريز على جدران المباني المهمة. كما استخدمت في التماثيل والأعمال الفنية الأخرى

الفنون البيئية المصرية القديمة :

إن نظرة سريعة للفن المصري تكاد توحي في أول الأمر بأنه فن رمزي، أو هو على الأكثر فن ملكي رسمي، وقد يكون السبب في ذلك هو أن فن الرسم والنقش لم يتقيد بقواعد الرسم المنظور، كما أن فن النحت يبدو للوهلة الأولى جامداً لا يكاد يكشف عن المشاعر الداخلية.

لكن هذا الحكم يخلو من الموضوعية ، فالفنان المصري لم يصنع تماثيله لتعرض على العامة من الناس، وإنما كان التمثال في غالب الأمر يوضع في المقبرة، في مكان مظلم، ولك أن تقس على ذلك، فهدف المثال تحقيق فكرة دينية ، وهو لا يخرج عن تقاليد موروثة يلتزمها من أجل تحقيق تلك الفكرة الدينية.

أما ما يخص النقش والتصوير فإن جملة ما وجد من خلال تنقيبات الآثاريين لا يخرج عن صور ونقوش في المعابد والمقابر ، ولهذه الأماكن تقليدها التي أجبرت الفنان المصري القديم على إخراجها بالصورة التي نراها اليوم.



فالفنان المصري لم يكن عاجزاً على رسم تلك الروائع الفنية بشيء من الحركة والحيوية ، لكنه خضع لسلطة عليا أملت عليه تلك التقاليد

صاغ الفنان المصري أعماله الفنية بالشكل الذي يتلاءم ومعتقداته ، فالصورة هنا تجمع بين مظهر صاحبها الدنيوي وما يرجى أن يكون عليه في العالم الآخر بحيث لا تطغى إحدى الفكرتين على الأخرى. والصورة المنقوشة هي في غالب الأمر قريبة من الواقع، وأن الكثيرين من الفنانين لم يهتموا بذلك بل عنوا بتجميل الصورة. وقد ظهرت مواضيع عديدة مثل حرث الأرض وبذرها ، وصيد الحيوانات في الصحراء، واصطياد الأسماك والطيور ، وصناعة القوارب، كما أن بها صوراً حية .

بعد ذلك يظهر نوع آخر من الفنون هو الذي اصطلح على تسميته بـ(الفنون الصغرى). والواقع أن التيجان والقلائد والصدريات تضع هذه الفنون الصغرى في مرتبة رفيعة يستطيع الفن الفرعوني أن يفخر بفنانيه في مضمارها ، والواقع أيضاً أن الفن الفرعوني استطاع أن يصل إلى الغاية من الدقة والذوق ومراعاة التناسب.ولم يحدث من قبل أن أنتج في مصر مثل الحلي من الذهب المطعم بالأحجار المختلفة التي عثر عليها بأهرام الأسرة الثانية عشر في دهشور واللاهون، بل أن شيئاً في جمال هذه الحلي لم يعثر عليه في أي مكان آخر.

أما فن التصوير، فقد تطور تصوير الجدران (جدران المقابر) تطوراً ملحوظاً ، ففي أول عهدها اتبع الطراز التقليدي الذي كان يلتزم رسم حدود

الصورة مع استعمال ألوان على أرضية بيضاء أو رمادية تميل إلى الزرقة، ولم يكن للحركة أي نصيب في الرسم، بل لم تكن هناك حرية في تكيف الصورة، وحين تبدأ المرحلة الثانية نلاحظ اهتمام الفنان بالصورة والإطار معاً، فلا نشهد لوناً من الحركة لم نعهده من قبل، ولكن الفنان هنا يغظ النظر عن "خط الأرض" (خط الوقوف) التقليدي ويطلق الحرية للأبعاد والتناسب بينها، مع العناية بإظهار قرب الشخوص أو بعدها، وربما بدا واضحاً في الصورة التي تمثل الصيد والمطاردة في أرض خلاء.

والمرحلة الثالثة تمثل فناً جديداً هو (فن العمارنة)، والفن هنا لم يفقد إخلاصه وإن اكتسب مرونة لم تكن معهودة من قبل، ورقة وليونة لم تفقدانه قوته وتأثيره.

ونقوش الدير البحري مثلاً تشعرنا بأنفاس الروح الجديدة تتردد، وتجعلنا نحس بهذا التطور، وندرك أن الفنان يعيش مع المادة التي يعمل فيها.

كان من أهداف أخناتون تحري الحق، ولذا أدخلت الحياة والحركة على التماثيل والصور والنقوش، وأهم ما يميز معالم الفن الجديد إلى جانب ذلك الواقعية التي تضعه في مكانه الخالد. والمرحلة الأخيرة تشمل العصر الذي يلي عصر العمارنة مباشرة، وأروع ما يمثله ما كشف عنه في مقبرة الملك (توت عنخ آمون) الذي شهد عهده أولى مراحل العودة إلى التقاليد القديمة.

مميزات الفن البيئي المصري القديم :

الفن، لاسيما الفن البيئي يعد من أهم المميزات الحضارية، فهو المعبر الحقيقي عن بيئة شعب ما وتقاليده وحياته اليومية، ولكن هناك مميزات، يتميز بها الفن، لا سيما الفن البيئي المصري هي: -

1. الفن المصري القديم ارتبط ارتباط وثيق بفلسفة المصريين الدينية حين أوقفت كل الممارسات الفنية سواء في مجال العمارة والنحت والرسم والكتابة وكل الفنون التطبيقية الأخرى المجسدة لحياة ما بعد الموت إيمانا منهم بأن الأنسان سيعيش حياة سرمدية خالدة بعد الموت ويقوم باستخدام كل الآثار الجنائزية التي دفنت معه في المقبرة.
2. معظم النماذج الفنية في أغلب عهود التاريخ المصري مستمدة من المقابر والمعابد الملحقة بالأهرامات التي شكلت كنوزا للفن المصري.
3. لم يكن الفن المصري فنا جامدا ثابتا على ميزة واحدة إنما كان متطورا منذ عهد المملكة القديمة على مر العصور التاريخية المصرية وذلك ما يشهد به تأثر المملكة الوسطى وعهد الإمبراطورية.

الخامات البيئية التي وظفها الفنان في مصر الفرعونية:

بسبب توفر المواد الأولية ظهر نوعين من النحت (البارز والمجسم) فان الحجر كان متوفر في بلاد وادي النيل وكانت الأخشاب القوية المستوردة من بلاد لبنان ومناجم المعادن قريبة إلى بلاد وادي النيل إذ توجد في طور سيناء وفي بلاد النوبة (السودان) وتوفر أحجار ثمينة من منطقة الجنوب واهما حجر

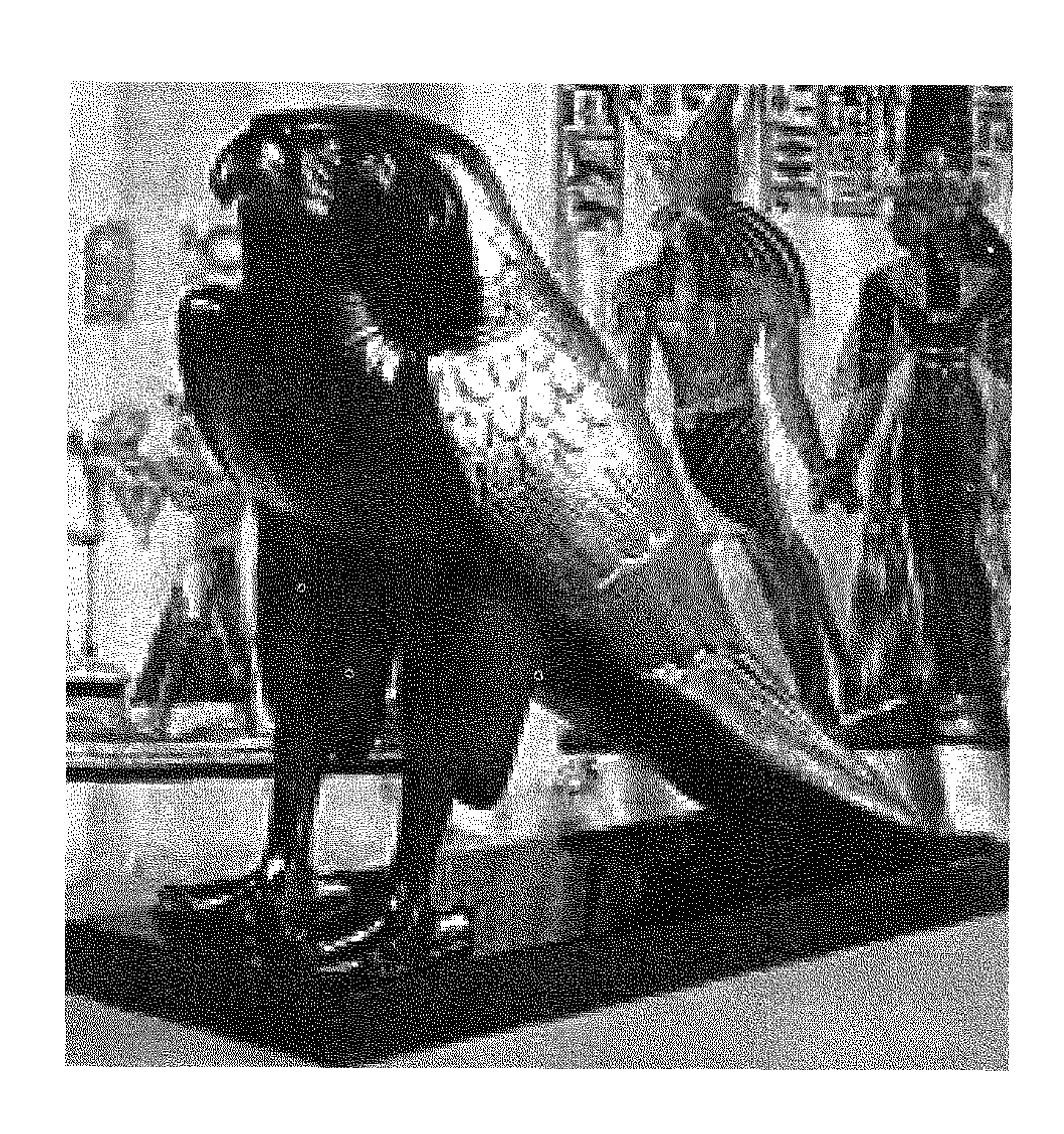
الكرانيت الذي شاع في صناعة التماثيل المصرية وبسبب توفر هذه المواد فقد ازدهر النحت المصري الذي تميز بتنوع مواد الصناعة.

النحت المجسم : بدا النحت المجسم منذ عصر مبكر في التاريخ المصري وقد صنعت المنحوتات من الطين (الصلصال) ثم فخرت وكان أولى هذه المنحوتات هي المعبودة التي تمثل المجتمعات الزراعية وأهمها تماثيل المعبودة ألام التي تمثل الخصب والتكاثر وشكلت بهيئة نساء ذات خصور نحيلة ، ونتيجة لعبادة المصريين للحيوانات (الطوطمية) لكون المجتمع المصري مجتمع زراعي يعتمد على الحيوانات في النقل والعمل فظهرت تماثيل مجموعة من الحيوانات ذات التأثير المباشر بحياة المصريين منها الفرس، القطط، الحمير وغيرها وفي بداية عهد التاريخ أصبح المصريون ينحتون منحوتاتهم من العاج والحجر وازدهرت المنحوتات المدورة بشكل كبير في الحضارة المصرية طبقا لفلسفتهم الدينية التي لا بد من أقامة تمثال للفرعون يحمل ملامحه الدقيقة معه في القبر ليكون بديلا عنها أذا ما قدر للجثة الفناء، امتازت التماثيل المصرية بالواقعية حيث وصلوا فيها بالإتقان حدا كبيرا .

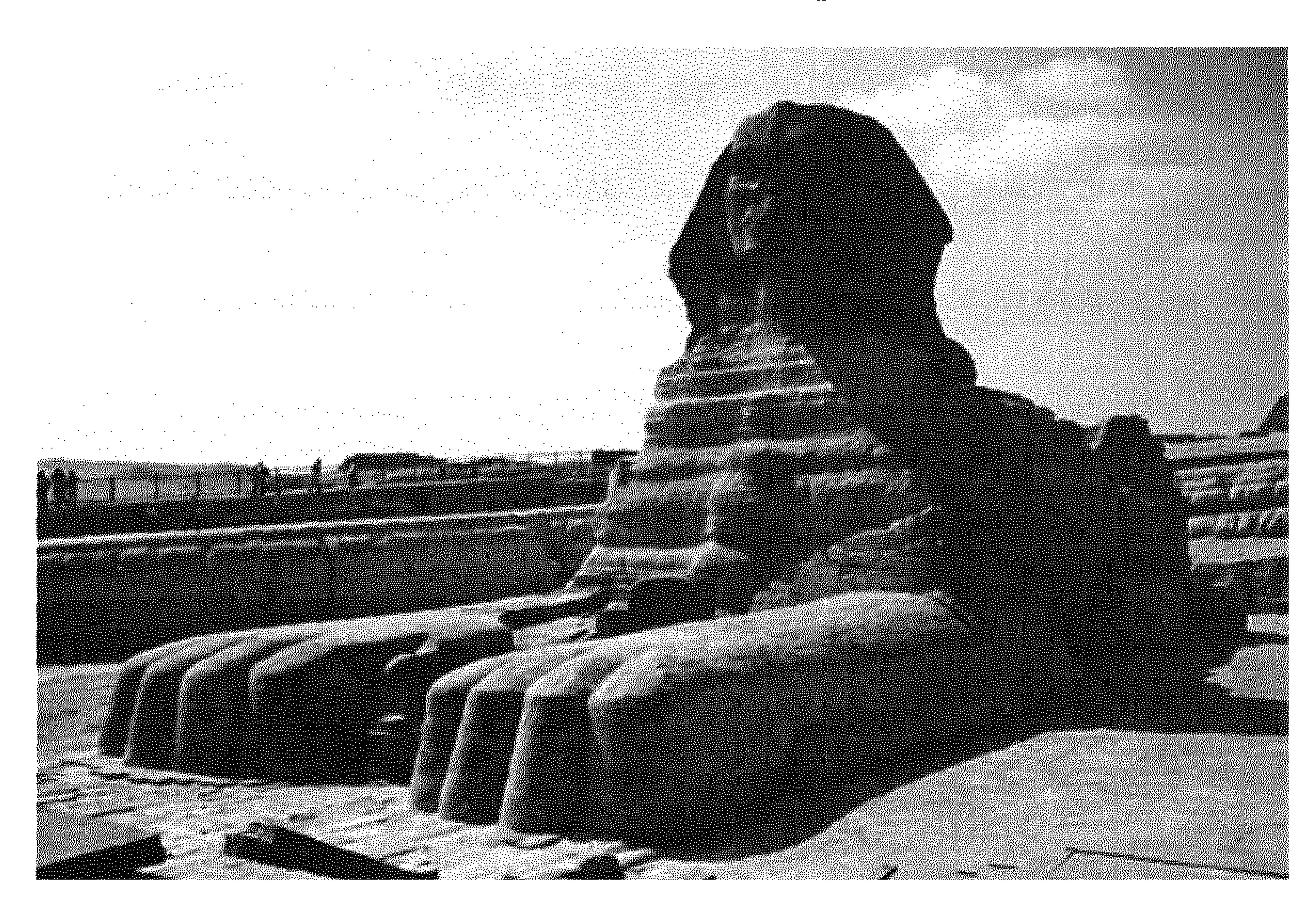
كانت هذه التماثيل تلون بألوان تشبه الأجساد الحقيقية ، إذ أنهم استخدموا اللون الأحمر الغامق الذي يميل إلى السمرة بالنسبة لأجساد الرجال واللون الأبيض المصفر لأجساد النساء لتكون هذه المنحوتات أكثر محاكاة للأصل الطبيعي ويضعون في محاجر العيون بلورا صخريا يشع بنور الحياة.

التزم الفنان بأوضاع تقليدية فيها الوقوف والجلوس والسجود والركوع والتربع.

استطاع الفنان من خلال النحت أن يحقق أهدافه الفنية من خلال إظهار معاني العظمة والخلود والسمو في أعماله الفنية كانت أكثر المنحوتات تضع الملوك والمعبودات بالدرجة الأولى والأمراء وكبار القوم بالدرجة الثانية وكانت هذه المنحوتات من الصنف الذي يصنع من مواد صلبة جدا أما منحوتات الأتباع فإنها كانت تعمل بطريقة أكثر تحررا وبمواد اقل ثمنا ومن أشهر المنحوتات التي خلفها المصريون هو تمثال الملك (خفرع) المصنوع من حجر الدورايت الأخضر ويتصف بالهدوء والجلال والنظرة الثاقبة ويشاهد خلف رأس التمثال باشق ناشرا جناحية يحمي الملك وهذا الطائر هو رمز للمعبود (حورس)



ومن الأمثلة التي لازالت شاخصة في الحضارة المصرية هو تمثال أبي الهول ويعد من أفخم ما صنعة الفنان المصري في عصر الأهرام، إذ نفذه على الشرفة الصخرية المطلة من مقبرة الجيزة والتمثال يمثل أسدا يقوم عليه رأس إنسان يشبه هذا الرأس ملامح رأس الملك خفرع والنحت قد نحت في نتوء صخري وهذا ما جعله قائما للوقت الحاضر مع وجود بعض التأثيرات الواضحة والظاهرة على وجهة بفعل عاملي الزمن والبيئة .

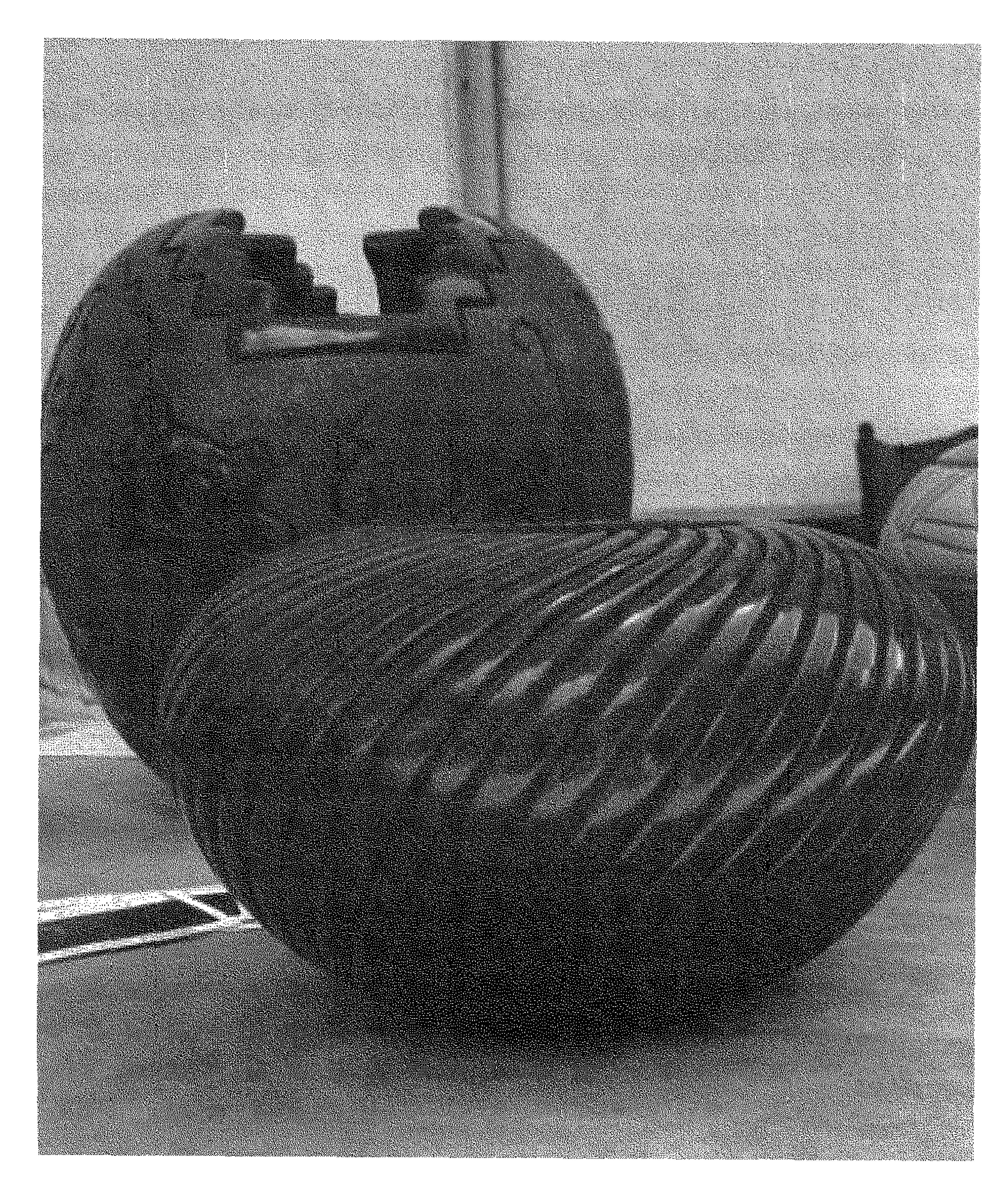


تطور الفن في العصور اللاحقة وبخاصة المملكة الوسطى على الرغم من احتفاظ المنجز الفني بطابعه القديم ألا إنها في هذه الفترة قد أصبحت أكثر واقعية وهي تفيض بالحيوية لتعطي فكرة عن الحياة اليومية أي أن الفن بدا يعبر عن الممارسات الحياتية اليومية وهي بشكل منحوتات للموظفين والعمال وأصحاب مهن حتى ظهرت ثورة فنية في عصر المملكة المصرية

الوسطى يمكن أن نسمي الفن في هذه الفترة بفن الشعوب اذ أصبح الفن معبر بيئته .

الفنون البيئية المصرية القديمة :

ظهر في زمن السلالة الثانية، عصر المنجز الفني البيئي، فقد ظهرت الأواني والزهريات الزجاجية وتوجد من هذه الفترة زهريات زجاجية عليها اسم الفرعون توطمس الثالث معروضة في عدة متاحف مختلفة من العالم.



فقد استفاد الفنان المصري القديم من ما موجود في بيئته المحلية لينتج لنا فنونا عكست جمال البيئة المصرية ووفرة خاماتها .

ثم إن هناك منجز آخر أخذ يوثق مظاهر الحياة اليومية تمثل في فن التصوير، إذ نرى في مصر أمثلة رائعة للتصوير، فقد كانت مواضيع الصور تمثل شتى الممارسات الحياتية اليومية وهي تنقل الحياة الدنيوية لتمثلها على الأهرامات لإيجاد بديل لواقع الحياة المفقودة ومن بين هذه المشاهد صور للحياة اليومية للشخص مع أسرته وخدمه وكذلك المشاهد التي تصور أجواء الفرح والبهجة والسرور ومنها الحفلات والموسيقى والهوايات الرياضية والصيد في البر والبحر.

أن أجمل الأمثلة من الرسم المصري هي الأوزان الست المحفوظة في المتحف العربي أما طريقة التنفيذ فأنها.

كانت ترسم بألوان على المصاطب والجدران، بعد تهيئة الأرضية بطلائها ببلاط (طبقة رقيقة من الطين) كما اعتمد أسلوب الحفر البسيط وبخطوط قليلة البروز وان هذا النوع يكاد ينطبق مع النحت البارز أما الألوان المستخدمة فهي الأحمر والأزرق والأخضر والأسمر والأسود.

وكانت أكثر الألوان نباتية تستخرج من نبات النيلة في حين كان الأزرق، مستخرج من المعادن أما طريقة تمثيل الرسوم على السطوح فأنها كانت بطريقتين:

أ . يمكن أن نطلق عليها باسم الهندسي (أي الأبعاد متساوية).

ب . رسم الشيء كما ينظر أليه الرائي أو الرسام ويطلق عليه فن المنظور وهذه الطريقة متأخرة في الرسم المصري نوعا ما أي لم تظهر ألا في عهد المملكة المصرية الوسطى ويعتقد العلماء أنهم قد تأثروا بالرسوم اليونانية حين تمثل الأبعاد الثلاث وقد عبر الفنان المصري عن هذه الطريقة أي المسافة أو العمق برسم الجزء البعيد فوق الجزء القريب وكأنه في مسقط أفقي محاولا بهذه الطريقة أيجاد المنظور.

الفن البيئي في بلاد اليونان :

يتميز الفن اليوناني بأنه متأثرا في فتراته الأولى (العصر المبكر) بالفن المصري وبهذا فهو يشكل كتل حجرية كبيرة فقد استخدم في الفن، الحجر على نطاق واسع بسبب وفرته إضافة إلى العاج والمعادن والخشب كما استخدم الصلصال (الفخار) .

مقومات نشوء بيئة فنية في اليونان :

بلاد اليونان التي هي شبه جزيرة والجزر المحيطة بها ومن ضمنها جزيرة كريت ذات الموقع الاستراتيجي، والمهم بين قارات العالم القديم الثلاث إذ قامت حضارة راقية نتيجة لهذا الموقع الذي تأثر بالحضارات القديمة.

لقد تأثرت حضارة كريت بحضارات وادي الرافدين ووادي النيل وذلك من خلال تعرفهم على كيفية استعمال دولاب الخزف ويمكن التأكد من

هذا الرقي الحضاري من خلال التنقيبات الأثرية. ومنها موقع كسنوس، وهو مكان لقصور تشبه قلاع حصينة تعود إلى عصر الملك مينوس، وسميت تلك الفترة الواقعة بين سنة 1600 -1500 ق. م بالحضارة المينوسية نسبة إلى اسم ذلك الملك الذي كان يحكم في ذلك الوقت. إذ تطور في البناء والهندسة وبناء القصور وقد أطلق على هذا العصر بالعصر الذهبي في كريت.

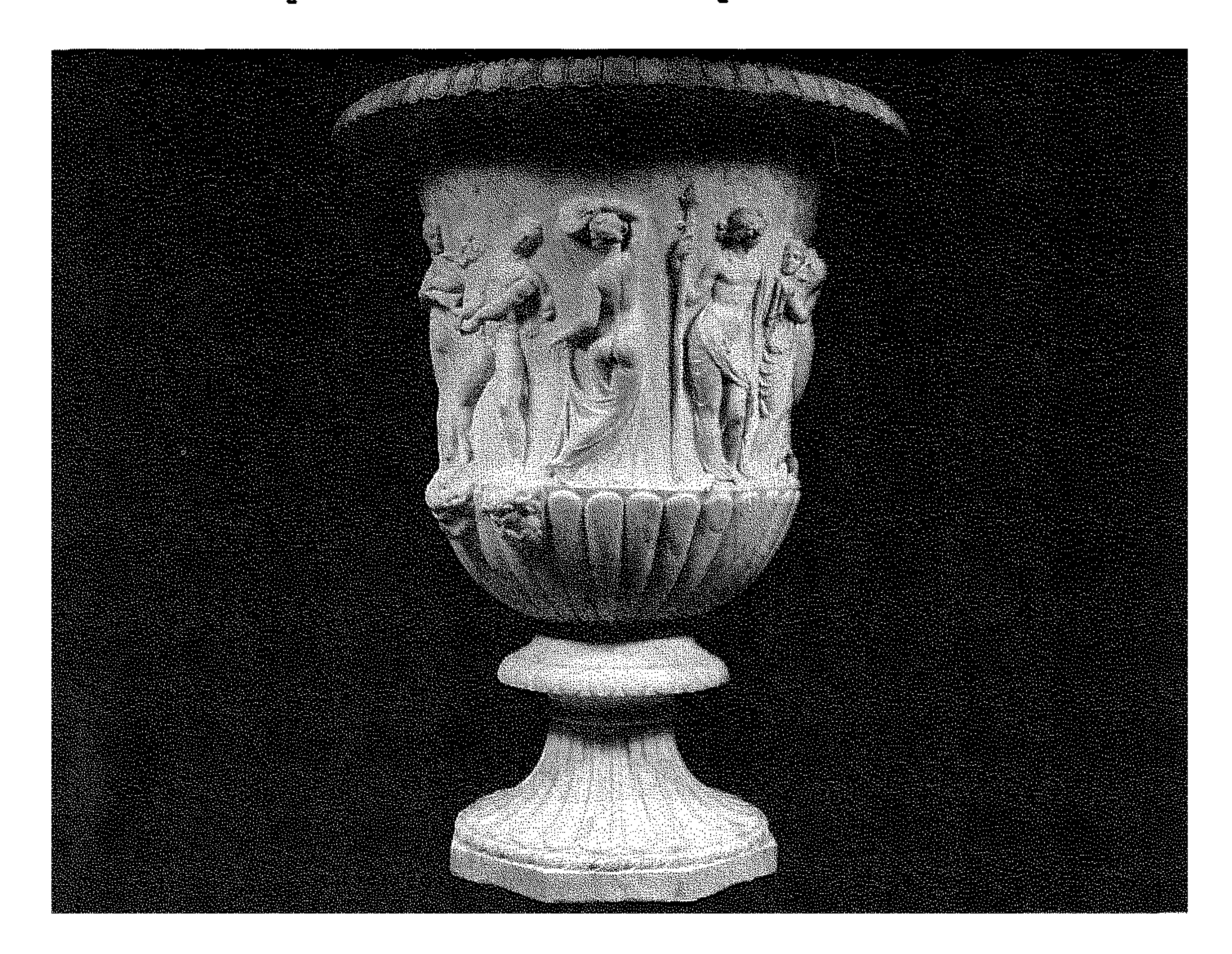
تدهورت الحضارة (المينوسيه) في الجزر الإيجية وفي بلاد اليونان في نهاية الألف الثاني ق. م، فقد زحفت القبائل الهندو أوربية المتمثلة بالإغريق وأخذت تحل محل الإيجيين، وأجبروهم على الخضوع واخذ الكثير من حضارتهم، وقد سمي هذا العصر وعلى الجموع التي غزت بلاد الإيجيين بعصر الأبطال.

واهم موضوعين تناولهما الفن اليوناني هما الأساطير والحياة اليومية. كان الغرض من فن النحت ولا سيما في عهوده الأولى هو تزيين الأبنية، واستخدم الفن أيضا في أحياء ذكرى الأحداث الهامة كالانتصارات في الحروب أو الألعاب الرياضية .

والمواد التي استخدمها اليونانيون في الفن هي الأحجار (الحجر الجيري) والرخام البرونز، والفخار والخشب والذهب والفضة والعاج وأحيانا الحديد، ولم يكن من السهل نقل الأحجار الكبيرة من أماكنها من الحجر إلى حيث يراد تشكيلها، فكانت الآثار تشكل مبدئيا في الحجر قبل نقلها، وكان رأس التمثال وذراعاه تنحت منفصلة، ثم تثبت بعد ذلك بواسطة خوابير من

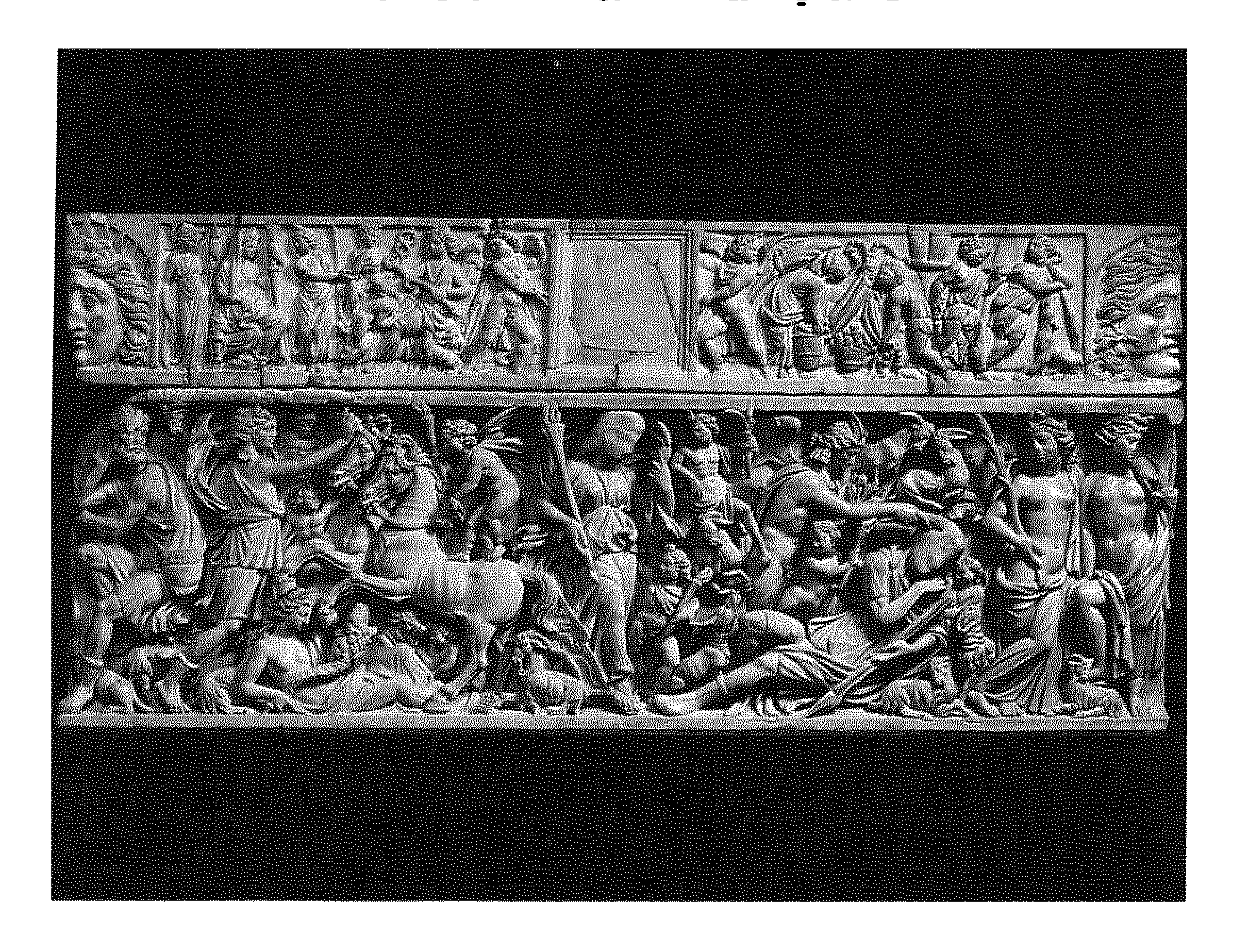
المعدن. أو تلصق بالرصاص، أما الأجزاء الصغيرة فمن السهل تثبيتها بالأسمنت.

وكان البرونز من أهم المعادن التي استخدمت في الفن اليوناني .





ومن أهم الخامات المستخدمة في الفن اليوناني هو الطين الذي استخدم لإنتاج الفخار . فقد استعمل الفخار في العصر الحجري بواسطة اليد، ولم يستخدم (العجلة) ألا في حوالي 1800ق. م في كريت كانت الأواني التي وجدت فيها يرجع تاريخها إلى العصر (المينوسي) القديم، وهي ذات أشكال دقيقة لها مقابض وكانت أكثر الأشكال انتشارا ما يشبه الفنجان و (السلطانية).



وجدت الكثير من الأواني الفخارية الملحقة بالأشكال ونظرا لتعدد مصادرها وان كانت ذات طراز واحد يجمعها ، تزينها مناظر ونباتات وحيوانات وقد مثلت داخل خطوط هندسية متناسقة مكونة ما يشبه قطعة الشطرنج وبسبب اتصال اليونان بالشرق من خلال التجارة والملاحة وجدت مجموعة هائلة من فخار هذا العصر، حيث استبدل الطراز الهندسي بطراز آخر متأثر باتجاهات مستوحاة من الشرق كما ظهرت بعض المناظر الدينية ومن المناظر المنفذة، ما يمثل صيد الأرنب أو منظر أسد يفترس وعل، ومنظر لبعض الخيول وهي تركض. وقسم الفخار إلى:

1. الفخار الأسود :

وهو ذو زخرفة لحيوانات وأحيانا الإنسان وحيوانات في صفوف أفقية، ومناظر للمعبودات اليونانية والأبطال.

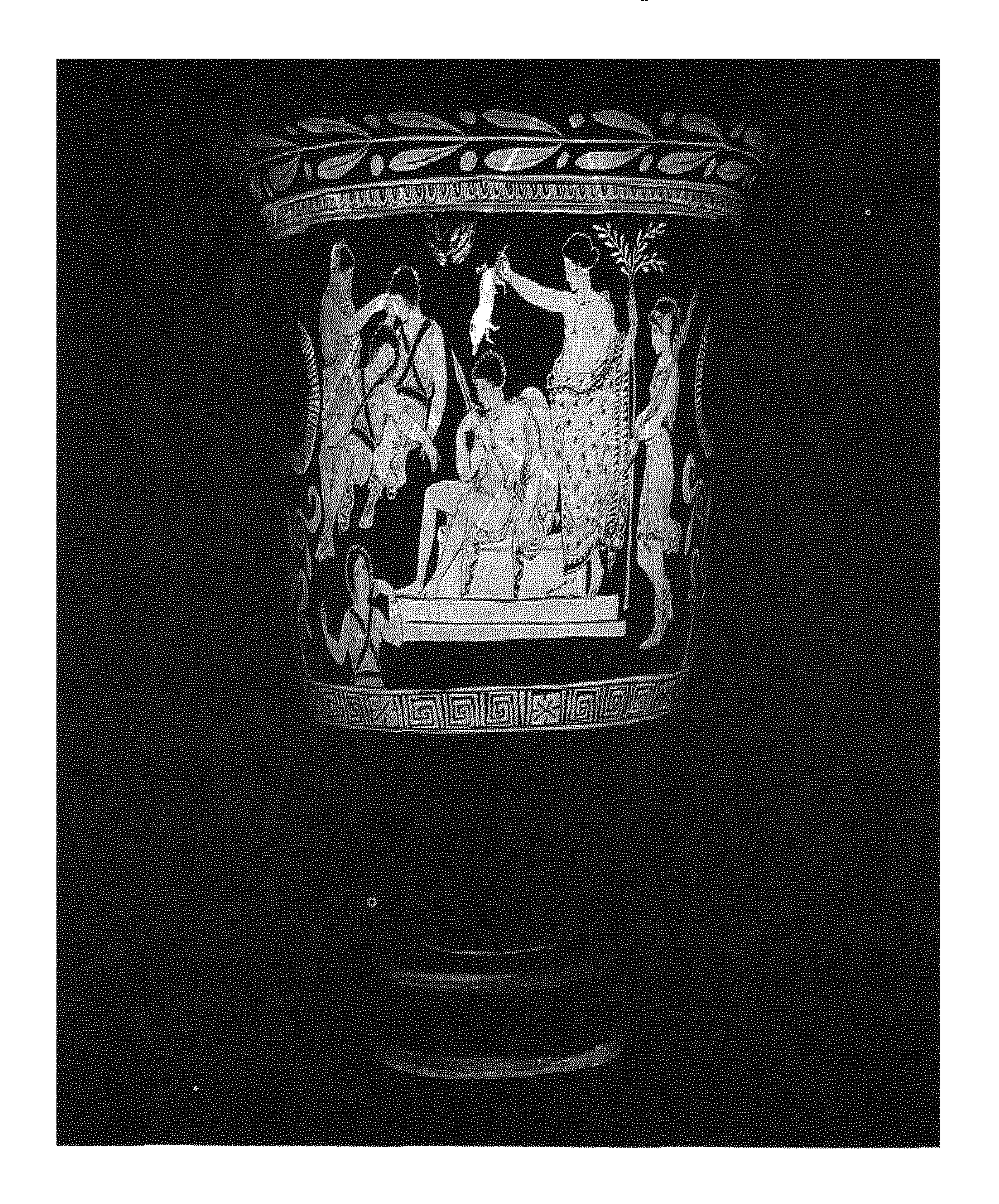
2. الفخار الملون :

نفذت في هذا النوع من الفخار ، زخارف ذات لون اسود على أرضية حمراء أو آواني مزخرفة بلون احمر على أرضية سوداء.

التصوير :

كان الفن اليوناني فنا إنسانيا اعتبر الإنسان قيمة عليا إذ رفعه في فنه وامتاز بالتناظر والتوازن وامتاز بالجمال وإظهار الجمال من خلال رسم الإنسان بهيئة تشريحية كما ظهر نوع من الفن يطلق عليه (الفن البحري) لان اليونان بلاد بحرية لذلك فهم عندما يصورون موضوع السفر تظهر صورة الرياح وهي تلاعب ثيابهم وقد يشارك أكثر من فنان في تصوير هذا الفن من اجل أظهار الصورة الفنية.

كانت ترسم المواضيع الفنية بألوان على المصاطب والجدران بعد تهيئة الأرضية بطلائها بملاط (طبقة رقيقة من الطين) كما اعتمد أسلوب الحفر البسيط وبخطوط بسيطة نوعا ما.



الأسطورة الإغريقية

ومعنى الأسطورة تبدل بمرور الزمن فالإغريق فهموها على لسان فلاسفتهم بأنها تعني (حبكة الرواية) plot أو بناء الرواية . وتروى على لسان الحيوانات من القصص المعقولة ويشترك في صياغتها الخيال والتأمل.

وقسم يعدونها حكاية عن القوى الغيبية عن خلق الكون والإنسان والخلود والموت والقرابين والبطولات، وهكذا نشأت العادات والتقاليد. كل هذه الممارسات تنصب على فعل الخير وتجنب الشر ، فوجدت البطولة وبقي

هناك شيء يسعى الإنسان وراءه وهو الخلود - فسعى وراءه ثم أيقن إن الموت هو فترة ينتقل فيها الإنسان إلى عالم الخلود. فمنذ البداية انشق الفن إلى شطرين ومنذ آلاف السنين.

فن غرضه الدنيا وزينتها وفن آخر يسعى لإرضاء القيم الماورائية ليعيش سعيداً بعد الموت في عالم الخلود - ونرى ذلك جلياً في الفن المصري القديم. انقسم الفن قسمين فن الدين وآخر لتزيين الدنيا - ولنقل فن الدين وفن الدنيا - فمرة يندمج الفنان (مع الفن) ومرة يعلو فن الدين — وهذا ما رأيناه في الفن المصري الفرعوني القديم - ومرة يكون فن الدنيا هو فن الدين مثل الفن الإغريقي وامتداده الفن الروماني ومرة يزهو فن الدنيا وينزوي فن الدين — وهذا ما رأيناه في أسلوب الباروك والركوكو في أوربا في القرون القليلة السابقة.

والآن السؤال الذي يفرض نفسه : هل الأعمال العظيمة التي أوجدها الفنانون القدماء مثل الزقورات والأهرامات والمعابد والنصب التذكارية. هي فنون بيئية؟ نستطيع الإجابة بنعم فتلك الأعمال كان لها الريادة في توظيف خامات البيئة المتوفرة في البيئة المحلية ثم أنها أوجدت بيئة فنية وحققت أهدافاً عديدة ولاسيما الفوروم الروماني_ أو المجمع الروماني الذي خلق التجمعات والنشاطات الفنية والرياضية والتجارية وتعامل مع البيئة بكونها عنصراً مشاركاً لهذه الأعمال .

بقي أن نؤكد على أن الفن البيئي هو فن عالمي ليس له أسلوب محدد ولا موضوع محدد ولا مواد محددة. له أغراض عديدة هادفة منها : ثقافية ومنها جمالية وغيرها وجميعها تشترك في جعل الخامات البيئية مادتها الأولية.

نحن الآن إزاء الفن الإسلامي وهل كان هنالك حضور للبيئة فيه، وللإجابة على هذا السؤال يمكننا الانطلاق من فكرة إسلامية مفادها (إن الفن الإسلامي سعى إلى تحويل الخسيس إلى نفيس، إذ تعد هذه المقولة من المبادئ المهمة للفن الإسلامي)، نجد الآن أنفسنا أمام احد الفنون الإسلامية التي تعاملت مع المفردات البيئية تعاملا مباشرة وهو(فن الفسيفساء(*) ❖)

* **الفسيفساء**/ :(mosaic work)

يضم بعضها إلى البعض فتتكون منها صور متنوعة وأشكال مختلفة تزين بها الأرضيات أو الجدران . أما في المصطلح الاثاري المعماري فان الفسيفساء هي نوع من الزخرفة يقوم على تكوين أشكال فنية مختلفة تعمل بواسطة قطع أو فصوص صغيرة من مواد متعددة ذات ألوان شتى .

تدل على زخرفة سطح ما. لوحات فنية منفذة على حوائط أو أرضيات برسومات لا يستخدم فيها لون أو فرشاة، بل نستخدم قطع صغيرة من الرخام الملون والتي تتجمع مع بعضها بالأسلوب المباشر أو غير المباشر لتكون في

---

* الفسيفساء: نوع من الفنون التي تتكون من تصميم بملىء بقطع من الصدف أو الحجر أو الحصى الصغيرة الملونة وهي مرصوصة إلى جانب بعضها البعض.

النهاية التصميم المطلوب. هذه القطع تصنع من خامات طبيعية كالحصى أو الزلط والحجر أو الرخام الطبيعي.

أو من خامات صناعية كالزجاج أو الفخار والخزف. أما اللون فهو عبارة عن شوائب طبيعية ملونة في الحجر الطبيعي أو أكاسيد ألوان مضافة أثناء عمليات الصناعة في الخامات الصناعية .أما التصميم فيكون رسما هندسيا أو نباتيا أو تصوير يمثل موضوعات دينية أو دنيوية أو أساطير خرافية الموزائيك كلمة ليست عربية تقابلها في اللغة العربية كلمة فسيفساء، ونحن نتداول الكلمتين معاً حين نريد الإشارة إلى هذا الفن، وإن كانت كلمة فسيفساء العربية هي الأفضل في الدلالة على فن يقوم بالأساس على تجميع قطع حجرية أو خزفية أو زجاجية صغيرة تعطي في النهاية الشكل المطلوب في صورة متفردة وبديعة.

فقد ورثت الفنون الإسلامية هذا النوع من الفنون الزخرفية العمارية منذ عصورها المبكرة، إذ زين المسلمون بها خلال العصر الأموي بعض آثارهم الأولى مثل قبة الصخرة في بيت المقدس (72هـ / 691م) وعملوا فسيفساءها من مكعبات صغيرة من الزجاج الملون وغير الملون والشفاف وغير الشفاف، ومن مكعبات صغيرة من الحجر الأبيض والوردي، ومن صفائح صغيرة من الصدف، وثبتوها في وضع أفقي كامل باستثناء المكعبات المذهبة والمفضضة التي وضعوها بميل قليل لتعكس الضوء الواقع عليها فتزداد رونقا وجمالا ،

وقد انحصرت زخارف هذه الفسيفساء في موضوعات نباتية كثيرة ومتنوعة ، كما زينوا بها الجامع الأموي في دمشق .

ومن روائع الفسيفساء في هذا الجامع جدارية (نهر بردى) وعلى شاطئه مناظر طبيعية ذات أشجار وغابات وقصور ، وترجع بعض فسيفساء هذا الجامع إلى عهد الوليد بن عبد الملك (القرن الأول للهجرة/ السابع الميلادي) وبعضها الثاني إلى أعمال الترميم التي أجراها فيه السلطان السلجوقي ملك شاه (475هـ / 1083 م) وبعضها الثالث إلى عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس (658هـ/ 676هـ . 1260م/ 1277م) . ومن روائع الفسيفساء الإسلامية ما ظهر في خربة المفجر شمالي أريحا (105ـ 125هـ) (723ـ 742م) في أرضية الحمام الملحق به فسيفساء رائعة تعد واحدة من أبدع ما وصل إلينا من زخارف فسيفسائية إسلامية ، وفي جزء منها شجرة رمان وتحتها غزلان وأسد ينقض على واحدة منها .



ولاتزال أقدم الجداريات الفسيفسائية التي أبدعت في الحضارة العربية الإسلامية محفوظة وعلى نطاق واسع على الجدران الداخلية (لقبه الصخرة) في القدس (685_705م).

وترى الفسيفساء الزجاجية التي تغطي أجنحة وبواطن عقود الرواقين ورقبة القبة (في قبة الصخرة) تنوعا كبيرا لأشكال رسوم نباتيه . فنشاهد فيها رسوم نباتيه (الاكانتس) المنتشرة في كل مكان ومن نوع الأوراق الكبيرة ومن تلك التي تكون على شكل فروع ملتوية جميله، كل ذلك يوضح استمرارية استخدام التقاليد الفنية للحضارات القديمة في المنطقة، ثم إن الشيء المهم هنا، هو وجود زخرف نباتي عمودي محتشد وبنطاق واسع جدا ،يطغي عليه وجود (زهره واحده محوره وبشكل هجين مع التأكيد على حجمها الكبير) ثم إن هناك صفه أخرى مميزه هنا وهي الاستخدام المفرط لأشكال الحلي والمجوهرات (الواسعة الانتشار في الحضارات القديمة لاسيما الرافدينية) والمصنوعة من الأصداف والأحجار الكريمة والمرصعة في الأشكال النباتية .على إن الشيء الملفت للنظر والذي يكشف أكثر من غيره عن معنى الزخرفة، هو التيجان المتنوعة_ البابلية وأحيانا الآشورية _ والأكاليل والدروع والستائر على جوانب الأروقة المواجهة للصخرة في الوسط.

مامن شك في إن هذه الفسيفساء، تعد انجاز فني كبير وان تأثيرها بالغ الأهمية أيضا، وكانت هذه النقوش أكثر من مجرد زخرفه.

فالغنى المفرط في التصميم، مع إضافة أشكال الحلي المطعمة في أماكن عديدة، يجب أن تستهوي وعلى نطاق واسع الإحساس الفني الخام لزائري الأماكن التي وجدت فيها تلك الفسيفساء فقد توقظ أشكال الأشجار الغناءة الفواكه اليانعة والأشكال النباتية الأخرى،الإحساس المسر الذي تثيره الأراضي الخصبة أو إحدى الواحات لتوجه المتلقي نحو تأمل يفضي به إلى إحساس جمالي أخاذ.

ثمة مظهر ثالث لهذه الفسيفساء هو تأكيدها على رسم نوع معين من الأشجار مثل النخل والزيتون وعناقيد العنب التي تكون بمثابة رمز للفردوس المنشود من قبل المسلمين لاسيما وان مثل هذه الأشجار مذكورة في الخطاب القرآني المقدس.وهنا يجب التأكيد على أن زخارف الفسيفساء هذه لها سمه عالميه جديدة فالغرض منها يتعدى إبهار المتلقي، إلى الإعلان عن انتصار آخر الأديان السماوية وامتلاكه سمه الانتشار العالمي..

وعودة إلى فسيفساء المسجد الأقصى الذي يعد من أقدم نماذج الفسيفساء الإسلامية ويستطيع المرء أن يرى الفسيفساء في قبة المسجد وهي تغطي أجنحة وبواطن العقود ورقبة القبة وتتألف هذه الفسيفساء من فصوص صغيرة ومكعبات مختلفة الحجم تمثل خليط من مواد مختلفة بعضها من الزجاج الملون وغير الملون والشفاف وغير الشفاف ومن مكعبات من الحجر الوردي وهناك من الصدف وقد ألصقت هذه الفصوص والمكعبات على طبقة من الجص ويلاحظ من الألوان الغالبة على هذه الفسيفساء الذهبي والفضي

والأزرق والأخضــر بدرجاتــه المختلفــة وكــذلك اللــون الأحمــر والبنفســجي والأبيض.

وقد أشار المقدسي إلى فسيفساء قبة الصخرة (وهو أقدم فن ذكر هذا وجاء ذلك في القرن الرابع العاشر الميلادي وقد ذكر أن الفسيفساء كانت تكسو مبنى قبة الصخرة وجدرانه بما في ذلك منطقة القبة ورقبتها من الداخل والخارج إلا انه لم يبقى شي منها في الخارج والموضوعات الزخرفية التي نراها في فسيفساء قبة الصخرة كثيرة ومن بينها فروع نباتية متصلة وحلزونية تخرج من آنية ويقع بين كل فرعين خارجيين من إناء موضوع زخرفي يشبه المعدان وفوقه زخرفة مجنحة كما نرى من بينها أشجار النخيل وأشجار أخرى ومن بينها أيضا الفاكهة ولا سيما العنب والرومان ثم أوراق الشجر المختلفة وأوراق الاكانتس وباقات الزهور وقرون الرخاء ورسوم الجواهر والحلي المختلفة للرسوم النباتية فضلا عن رسوم الأهلة والنجوم وفي قبة الصخرة لوحان من الرخام يزينان الوجهين الخارجيين في أحدى الدعامات أو الأركان الكائنة في المثمن الأوسط والمنسوبين إلى عصر تشييد القبة في سنة 72 هـ - 691 م وقد تمثلت في هذين اللوحين زخارف نباتية في رسوم الشجر بعضها ذات مناطق بيضوية كونتها حركات الأغصان الحلزونية تحف بها قطر من الأوراق المفصصة واللونية وتوجد زخارف رخامية أخرى بقبة الصخرة موجودة في الوجه الداخلي للحائط الخارجي الكبير وتبدو بلون ذهبي على أرضية سوداء نتيجة اختلاف ألوان الرخام وابرز عناصرها رسوم شجرة الحياة داخل مناطق هندسية

بين أقواس تحملها أعمدة متصلة في الجزء السفلي من أسطوانة القبة إفريز قوامه فروع من نبات الاكانتاس ونرى في فسيفساء قبة الصخرة تنوع كبير لأشكال ورسوم نباتية تتمثل في صور النخيل والزيتون والقصب، وقد رسمت رسم واقعي وتظهر رسوم النخيل في الجاني الأيسر والأيمن الداخلي من احد أكتاف المثمن الأوسط للقبة ، ويتدلى من بعض النخيل عراجين التمر وقد زينت جذور النخيل بأشكال هندسية كالمربعات والمثلثات والفصوص أما شجرة الزيتون فتظهر على الجانب الأيسر من احد أكتاف المثمن الأوسط وقد تنشئ أغصانها وتكاثف أوراقها أما ساقها فقد زخرفت هي الأخرى بزخارف من أشكال مستطيلة أو بيضاوية أو صغيرة تشبه حبات اللؤلؤ والى جانب رسوم النخيل والزيتون فقد رسم الفنانون في قبة الصخرة منظر يمثل مزرعة من القصب .

ولم تكن هذه الرسوم والصور الوحيدة في هذه الفسيفساء بل نجد إلى جانبها رسوم أخرى تمثل أواني لزهور ذات أشكال مختلفة بعضها بيضوي والبعض الآخر اسطواني الشكل موضوع في داخلها أوراق وفروع نباتية محور. عن الطبيعية وعلاوة على ذلك فإننا نشاهد أيضا رسوم نباتية تمثل مايعرف (بقرون الرخام) منتشرة بين تلك الأواني ويؤرخ هذه الفسيفساء شريط يضم كتابة في الفسيفساء وبالخط الكوفي يبلغ طولها نحو (240) م وذلك بالفص المذهب على أرضية زرقاء داكنة ، وتتضمن الكتابة المذكورة آيات قرآنية والذي شيد القبة وتاريخ بنائها وعلى العموم فان فسيفساء قبة الصخرة كما

يقول اتنغهاوزن تمثل انجاز كبير في ميدان الفنون وتعد فسيفساء جامع دمشق أروع التصميمات الفسيفسائية العربية الإسلامية ، إذ يجد المتأمل لها أن كل شيء مكشوف وهادىء وباختيار صيغه ألصورة (البسيطة) بدلا من (الرمز)الواقعي، فهنا يتم الإعلان عن رسالة جديدة ، فالحضارة العربية الإسلامية امتدت لتشمل أقاليم ودول غير عربية ، والآن وبتعاليم الإسلام حل العصر الذهبي أو الفردوس، في الأرض.

أما في العصر العباسي فان ما عرف عن هذا الفن لم يخرج عن روايات المؤرخين وعن بعض القطع الصغيرة التي عثر عليها في سامراء ويرجح أن فسيفساء هذا العصر لم تختلف كثيرا عن فسيفساء العصر الأموي . وكون الفنانون المسلمون بفصوص الفسيفساء التي استخدموها في هذه الآثار أشكالا فنية رائعة من النباتات والأشجار والأنهار والقصور ، مع التأكيد على أن الفنان المسلم حدد موضوعاته وعناصره الفنية والزخرفية بما يتفق مع عقيدتهم الإسلامية . فلم يخرجوا بهذه العناصر في عمائرهم الدينية عن الأشكال النباتية والمناظر الطبيعية .

وما لبث الفنان المسلم في العصر السلجوقي أن استبدل الفصوص الملونة لهذه الفسيفساء بفصوص من الخزف وجدت أعظم نماذجها في مساجد مدينة قونية (7.6هـ / 13.12م) .

أما في مصر فقد ورد انه ظهرت لوحات فسيفسائية في جامع الفسطاط ، ولكن الأمثلة المادية الباقية للزخارف الفسيفسائية لاتثبت وجود الفسيفساء في

عمارة مصر الإسلامية قبل محراب قبة الملك نجم الدين أيوب (647ـ 648هـ / 1249ـ 1250م) .

وانتقل استخدام هذه الفسيفساء من عمارة العصر الأيوبي إلى عمارة العصر المملوكي لنجد أجمل نماذجها في مجموعة السلطان قلاوون بالنحاسين (683ـ 684هـ / 1284ـ 1285م) .

ومن المفيد ذكره هو إبداع الفنان المسلم لنع من الفسيفساء تسمى الفسيفساء المذهبة أو ذات البريق المعدني وفسيفساء المرايا ، واستخدموا في صناعتها المواد الزجاجية والخزفية والقاشانية والصدفية التي أخذت سطوحا هندسية مربعة ، ثم سطوحا متعددة الأضلاع بعد أن كانت في الفسيفساء السابقة عليهم ذات أشكال غير هندسية ، وكانت خلفية الفسيفساء المذهبة تعمل عادة من معجون من الزجاج الرمادي ، ثم توضع عليها ورقة من الذهب وتغطى بقطعة من الزجاج الشفاف لحفظها .

وصارت المساجد والأضرحة هي أخصب مجالات استخدام الفسيفساء الإسلامية ولاسيما أرضياتها وجدرانها وواجهات وخواصر عقودها وجلس شبابيكها ، وظهرت أجمل نماذجها ـ كما مر ذكره سابقا ـ في قبة الصخرة وجامع دمشق وجامع قرطبة ، واختفت في هذه الفسيفساء الإسلامية ولاسيما في الأبنية الدينية كل الصور الآدمية لتقتصر عناصرها الزخرفية على المناظر الطبيعية وأشكال النباتات والأشجار والأنهار والبيوت ، وأخذت الرسوم النباتية والهندسية ذات التفاصيل المدروسة والألوان الفنية دورها في هذه

الفسيفساء الإسلامية ، إلى جانب فسيفساء المرايا التي ابتكرها الفنان المسلم وطور رسومها الهندسية وتضليعاتها إلى أقصى مراحل التطوير والإبداع .

أهم مواضيع الفسيفساء العربية:

لقد تطور فن الفسيفساء وكان للعرب قبل الإسلام وبعده الفضل في هذا التطوير حيث استخدموا الألوان المائية في التلوين وابتكروا أشكالا زخرفيه غير معهودة في تزيين القصور والمعابد ومن أشهر هذه النماذج مدينة «مأدبا» أو مدينة الفسيفساء التي تقع جنوب العاصمة الأردنية عمّان، والتي يرجع تاريخها إلى أكثر من 4500 عام وتحوي أكبر وأندر مجموعات العالم من اللوحات الفسيفسائية ومن أبرزها خريطة فلسطين القديمة في القرن السادس والتي تمتد من صور في الشمال إلى مصر في الجنوب، وتصور اللوحات الأخرى أشكالا متعددة للزهور والطيور والحيوانات بالإضافة إلى مشاهد من الأعمال والحرف كالصيد والزراعة. ثم امتد اهتمام المسلمين بالفسيفساء وأصبح لزخرفة الجدران حضور قوي في معظم المساجد والعمائر وخصوصا إبان حكم الأمويين والعباسيين وكذلك الدولة الفاطمية في مصر والأندلس، إذ شهد قفزة تطويرية كبيرة تمثلت في استخدام تربيعات البلاط والقاشاني لإبراز الأشكال الزخرفية وإعطائها بُعدا أكثر تأثيرا من حيث اللون والبريق، كما شهد العصر العباسي ظهور الفسيفساء الخزفي والذي يعتبر طفرة في فن الفسيفساء الرائع وكان ذلك دليلا واضحا على التقدم الذي وصل إليه فن الفسيفساء الذي لم يستطع أحد بعدهم من مضاهاة ما أنجزوه.

أشهر المعالم ومن أشهر الأماكن التعبدية المزدانة بالفسيفساء هو مسجد قبة الصخرة بفلسطين، وقد استأثر الحرم القدسي بالنصيب الأكبر من هذا الاهتمام ليصبح متحفا مفتوحا يحكي تاريخ الحضارة الإسلامية عبر عصورها المختلفة، ويجمع المؤرخون على أن قبة مسجد الصخرة التي شيدت في القسم الجنوبي من ساحة المسجد الأقصى عام 72هـ/691م تعد من أروع وأجمل ما أفرزته العمارة الإسلامية حيث تغطي الفسيفساء أكثر من 1200 متر مربع من الجدران الخارجية والداخلية ويغلب عليها اللونان الذهبي والفضي إلى جانب الأزرق والأخضر بدرجاتهما المختلفة، وتمر وسط هذه التكوينات كتابات لآيات من القرآن الكريم بالخط الكوفي، وهناك أيضا الجامع الكبير بدمشق والذي يعد تعبيرا حقيقيا عن طبيعة الحياة في ذلك العصر من حيث الميل الشديد لاستخدام الألوان البراقة المتعددة الدرجات فقد وصلت ألوان الفسيفساء فيه إلى أكثر من 30 لونا مختلفا.

ظهر فن الفسيفساء منذ بداية الإسلام على جدران قبة الصخرة والمسجد الأقصى والجامع الأموي بدمشق، وهو تقليد قديم أتقنه الصناع المحليون في بلاد الشام.

وموضوعات هذه الألواح الفسيفسائية صيغ مجردة وزخرفية، وقد تمثّل أحياناً مشاهد طبيعية ومنشآت افتراضية، كما في جامع دمشق.

وما يميز فسيفساء الجامع الكبير بدمشق رسم المباني والحدائق والمياه الجارية، وقد اعتقد أحد المؤرخين مثل ابن شاكر، أن هذه الرسوم تمثل كل

الأقاليم المعروفة، ولكن غرابة الهندسة المعمارية تجعل الرسوم خيالية على الأرجح، ويعتقد ايتنغهاوزن أن هذه الموضوعات الفسيفسائية الجميلة تعبير أيضاً عن الفردوس والحياة التي ورد وصفها في القرآن الكريم، والموعودة للمؤمنين الأتقياء.

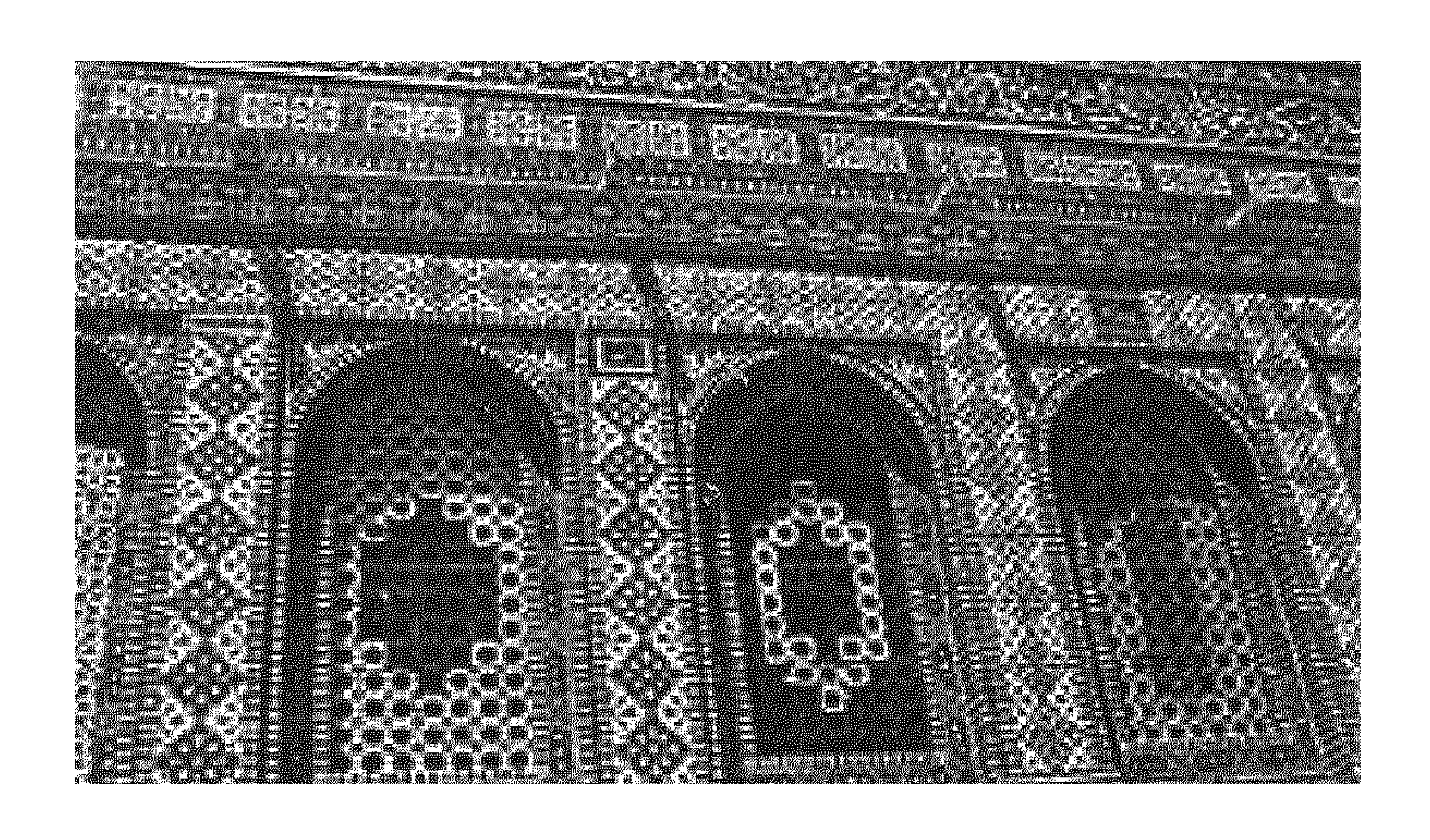
ويتساءل المؤرخون عن هوية الفنانين الذين صنعوا هذه الروائع وغيرها مما يُشاهد في قصري الحير والمفجر وفي قصير عمره. ليس من شك في أن الفنانين كانوا من أهل البلاد الذين سبق لهم قبل الإسلام أن أنجزوا روائع مماثلة، ولعلهم استنسخوا الموضوعات المجردة، وعزفوا تماماً عن تصوير الأشخاص والكائنات في المساجد واستبقوا ذلك في القصور، وهذا يفسر التأثير الديني الإسلامي في الفن الذي يبتعد عن تصوير الصور الآدمية نحو فن مجرد لاتشبيهي والذي يعد السمة المميزة للحضارة الإسلامية .

ولاشك في أن فن) الفسيفساء) الإسلامي هو الأكثر تفرداً وتميزاً من بين كل فنون (الموزائيك (الأخرى، حيث يعد وحدة متميزة بذاتها رغم ما فيه من تنوع شديد الجمال والخصوصية، فعلى امتداد(14) قرناً من الانتشار في ربوع المعمورة، وبتحقيق الاتصال والامتداد والاتساع، لعب الفن الإسلامي دوراً هاماً في التأثير على الحضارات التي جاءت بعده ولايزال تأثيره شامخاً وموجوداً حتى الآن، ولايزال يفيض على حضارتنا المعاصرة، فالآثار الباقية من العصر الإسلامي الوسيط المتقدم تعطينا صورة بديعة عن شكل الحياة ووجوه الإبداع في ذلك العصر والذي تمثل بأفضل صوره في الزخارف الهندسية التي استخدمت بدقة في المساجد والأبنية التي بقيت لنا منذ ذلك العصر، واستمر استخدامها حتى أثناء العصر الإسلامي الوسيط المتأخر، أي في الفترة الممتدة بين نصف القرن الثامن وحتى القرن الخامس عشر الميلادي.

وقد استخدم الفنان المسلم منهجاً جديداً في فن الفسيفساء هو الذي حقق له تقطيع الفسيفساء بأشكال تميزه واختلافه عن الفنون الأخرى، وتجلى هذا الاختلاف في أبهى صورة في أشكال هندسية خماسية وسداسية وغيرها من الأشكال التي تنتمي للتصميم العام بألوانه المتباينة.

وقد شهدت مصر أروع أشكال الإبداع والابتكار في فن الفسيفساء، وخاصة في الأعمال الفنية التي يتم الاستعانة فيها بالأنماط الهندسية، ومنها (المشكاة) ذات الفسيفساء الرخامية الملونة .والتي تدل على انفراد فن الفسيفساء الإسلامي بخصوصية غاية في الاختلاف والتفرد.

أما في دول المغرب العربي فلا يزال الفنانون هناك يسيرون على نهج الأجداد، ويستخدمون الأنماط والأشكال النجمية والدائرية والخماسية والسداسية والرباعية والأشكال المعقوفة المصنوعة جميعها من مادة الرخام والخزف الملون، بحيث تعطي في تجميعها أشكالاً من الأطباق النجمية وغيرها من الزخارف الإسلامية التي يمكن استخدامها في أغراض عديدة .



ومن روائع الفسيفساء الإسلامية هي ماأنتجه الفنان المسلم على جدران قبة الصخرة ومايميز تلك الفسيفساء الروح والنكهة الإسلامية الخاصة والمتميزة ، ونستطيع أن نلمس ذلك بسهولة في النقوش واللوحات الموجودة في قبة الصخرة وجامع دمشق الكبير وتأتي من طبيعة الفنان العربي المسلم المنفتح على الآخر لما يحمله من قيم سمحاء متمثلة بالقيم الإسلامية ، وقد أتاح لنا العلامة الفرنسي (دي لوريه (باكتشافه لأجزاء نمطية الشكل كانت مغطاة بالملاط في جامع دمشق الكبير فرصة جيدة للغاية للتعرف على مدى عبقرية وجمال هذا المزيج والحوار الفني بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى، وخاصة فيما نشاهده على مقربة من المدخل الرئيسي لجامع دمشق الكبير، حيث استخدم الفنانون الفسيفساء في رسم منظر لنهر رائع وعلى ضفته الداخلية أشجار ضخمة تطل على منظر طبيعي مليء بالرسوم لعمائر كثيرة بين الأشجار والغابات، ومن هذه العمائر رسم لملعب للخيل، ورسم آخر لقصور ذات طابقين وأعمدة جميلة، ورسم ثالث لفناء مربع الشكل وله سقف صيني الطراز، فضلاً عن عمائر صغيرة تبدو وكأنها مصنوعة بحيث تكون متراصة الواحدة فوق الأخرى، وفوق النهر توجد قنطرة تشبه قنطرة أخرى موجودة فوق نهر بردى في دمشق، مما جعل البعض يظنون أن هذه الرسوم قصد بها رسم مناظر من مدينة دمشق.

إذن فقد تبلور فن الفسيفساء بعد أن اكتملت الهوية الفنية الإسلامية ، واتخذ لنفسه هذا الأداء والأسلوب الإبداعي بعيداً عن فن (الموزائيك (الغربي

الذي اعتمد علي استخدام قطع صغيرة متشابهة هندسياً ، ولذلك فقد تميز الفن الإسلامي بمنهج خاص يظهر بوضوح في المساجد والعمائر الإسلامية التي استوحى منها الفنان المسلم روحه الفريدة وقيمه الأخلاقية والاجتماعية والدينية وهو ماجعله يكتسب احترام العالم.

الفسيفساء أحد فنون الزخرفة التي تعطينا خلفية واضحة عن تجليات الحضارة الإسلامية في عصورها المزدهرة، والذي عبَّر برقيه وتميزه عن أحوال أمة راقية ذات حضارة قادت العالم إلى آفاق متطورة من العلم والمعرفة والفن الرفيع. ويمكن تعريف الفسيفساء بأنه تشكيل من انتظام عدد كبير من القطع الصغيرة من الخزف أو البلاط المزجج، والتي عادة ما تكون ملونة لتكون في مجملها منظرا طبيعيا أو شكلا هندسيا أو جماليا. وقد عرفت عبر التاريخ العربي والإسلامي العديد من المدن التي ازدهر فيها هذا الفن الرفيع، منها معبد الوركاء بمدينة بابل، والذي تجلت فيه الأعمال الأولى للفسيفساء، حيث كان العراقيون القدماء أول من استخدم الطوب المزجج في تزيين جدران الأبنية بأشكال هندسية متعددة، وكان لهم الفضل في تطوير أساليبه من حيث المواد المستخدمة التي صغروا أحجامها إلى أقل قدر ممكن حتى تعددت ألوانه وأصبحت الصورة أكثر وضوحا إضافة إلى مهارة التشكيل وحرفية التركيب الموجود في باب عشتار وجدران الموكب والقاعة الكبرى في بابل.

الفن :

ارتبط الفن بالإنسان ارتباطاً وثيقاً منذ نشأته . وتحمل كلمة فن (معنى) تجميل الشيء وتزيينه ومن الممكن إطلاقها على كل شيء يتسم بشيء من الجمال.

والفن هو أحد مظاهر الحياة الحضارية فقد حل منذ القدم في كل شيء يستعمله الإنسان بدءاً بأدوات صيده ورسومه على جدران الكهف الذي كان يأوي إليه وإلى ملابسه واكسسواراته.

والفن يولد متأثراً بظروف الفنان وبتقاليد مجتمعه وبيئته.

إن كلمة فن لا يمكن تحديد معنى لها ، بل يتبدل معناها من خلال العصور والمفاهيم السائدة في المجتمع، ولكنها تبقى محافظة على معناها العام معنى الخلق والإبداع في الإنتاج المادي والفكري وهو المعنى السائد الذي نستخدمه في الوقت الحاضر تعريفاً لكل عمل فني جميل.

والفنون هي لغة استخدمها الإنسان لترجمة مايدور في ذاته الجوهرية وهو ضرورة حياتية للإنسان.

فالفن هو موهبة إبداع وهبها الخالق لكل إنسان لكن بدرجات تختلف بين الفرد والآخر. ومن هنا نستطيع أن نصف معظم هؤلاء الناس بفنانين إلا الذين يتميزون عن غيرهم بالقدرة الإبداعية الهائلة. فكلمة الفن هي دلالة على المهارات المستخدمة لإنتاج أشياء تحمل قيمة جمالية على تعريفة فمن ضمن التعريفات أن الفن مهارة – حرفة – خبرة – إبداع – حدس –محاكاة.

طبيعة الفن :

"واحدة من أكثر المسائل التقليدية للثقافة الإنسان"..وقد تم تعريفها بوصفها وسيلة للتعبير وتواصل الأحاسيس والأفكار، و وسيلة لاستكشاف المعاني والرموز، منطلقتا من المعطى البيئي.

الفنان

هو ذلك المبتكر ذو الأفكار المميزة، فالفنان غالبا ما يكون سابقا لعصره. انه في الواقع يعد أذكى الناس وأكثرهم خيالا وإحساسا. فالفنان هو ركيزة الحضارة والقائد الكفؤ لقاطرة التطور. فدخوله لأي مجال عملي أو علمي قد يحوله من العالم المعقول إلى العالم اللامعقول. ومن الشكل إلى المضمون . لذا يعد أحدى وسائل الاتصال لإيصال الأفكار من شخص إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر ومن شعب إلى آخر ومن حضارة إلى أخرى .

نظرية الفن من وجهة نظر فلسفية :

شكل نوعي من أشكال الوعي الاجتماعي والنشاط الإنساني، يعكس الواقع في صور فنية، وهو واحد من أهم وسائل الاستيعاب والتصوير الجمالي للعالم. والفن هو نتاج وتعبير عن الأفكار والمعتقدات والتقاليد لمجتمع ما وكذلك التصورات والانفعالات اللاشعورية للفنان صانع تلك الفنون . والعمل الفني هو الإبداع الفني ومصدر العملية السابقة التي تشكل عواطف احتياجات الإنسان الجمالية. وترجع الآثار الأولى للفن البدائي إلى العصر الحجري

المتأخر، أي تقريبا بين 40 ألف إلى 20 ألف (قبل الميلاد). وكانت للفن بين الشعوب البدائية علاقة مباشرة بالعمل، ولكن هذه العلاقة أصبحت بعد ذلك أكثر تعقيدا. وتكمن وراء التطورات اللاحقة في الفن التغيرات التي طرأت على البنيان الاجتماعي الاقتصادي للمجتمع. ويلعب الشعب دائما دورا كبيرا في تطور الفن.. وتوجد أشياء كثيرة مشتركة بين الفنون – كشكل من أشكال انعكاس الوجود الاجتماعي – وبين المظاهر الأخرى لحياة المجتمع الفكرية: مثل العلم والتكنولوجيا والمعتقدات، والتقاليد . وفي الوقت نفسه فإن للفن عددا من الملامح المحددة التي تميزه عن كل أشكال الوعي الاجتماعي الأخرى. وعلاقة الإنسان الجمالية بالواقع هو الموضوع المحدد للفن، ومهمته هي التصوير الفني للعالم، ولهذا السبب فإن الإنسان – باعتباره حاملا للعلاقات الجمالية – يكون دائما في المركز من أي عمل فني. وموضوع الفن (الحياة في كل أشكالها المتعددة) الذي ينتمي الفنان إليها، ويعرضه في شكل معين من الانعكاس – أي في صور فنية تمثل الوحدة النفّاذة للحسي والمنطقي، المحسوس والمجرد، الفردي والكلي، المظهر والجوهر وهكذا. ويخلق الفنان الصور الفنية على أساس من معرفته بالحياة ومن مهارته. ويحدد موضوع وشكل انعكاس الواقع في الفن وطبيعته النوعية – وهي إشباع حاجات الناس الجمالية من خلال إبداع أعمال فنية مميزة يمكنها أن تجلب السعادة والبهجة للإنسان، وأن تثريه روحيا وأن تطور وتوقظ فيه في الوقت نفسه الملكة الفنية والجمالية، في المجال المحسوس لجهده، على أن يخلق طبقا

لقوانين الجمال، وأن يعرفنا على الجمال في الحياة. ومن خلال هذه الوظيفة الجمالية يعرض الفن أهميته المعرفية ويمارس تأثيره التربوي الفعال ..

تاريخ الفن :

هو تاريخ التأمل الفني للواقع، الذي يزداد عمقا باطراد، ومد وإثراء المعرفة الإنسانية الجمالية بالعالم وتحويله الجمالي. ويرتبط تطور الفن ارتباطا وثيقا بتطور المجتمع، وبالتغيرات التي تحدث في بنيته التكوينية . ورغم أن الخط العام للفن هو تحسين الوسائل من أجل تأمل فني أعمق للواقع، إلا أن هذا التطور غير متوازن. لهذا فإنه حتى في الأزمنة القديمة بلغ الفن مستوى عاليا، وبمعنى معين اكتسب أهمية العلم العام.

وحالياً تستخدم كلمة فن لتدل على أعمال إبداعية تخضع للحاسة العامة كفن، الموسيقى، ، الكتابة أو التأليف وهو تعبير عن الموهبة الإبداعية. وقد بدأ الإنسان في ممارسة الفن منذ 30 ألف سنة، وكانت الرسوم تتكون من أشكال الحيوانات وعلامات تجريدية رمزية فوق جدران الكهوف، وتعد هذه الأعمال من أروع ما تركه لنا ذلك الإنسان على جدران الكهوف .

ومنذ آلاف السنين كان البشر يتحلون بالزينة والمجوهرات والأصباغ، وفي معظم المجتمعات القديمة الكبري كانت تعرف هوية الفرد من خلال الأشكال الفنية التعبيرية التي تدل عليه كما في نماذج ملابسه وطرزها وزخرفة الجسم وتزيينه وعادات حياتية أخرى . أو من الاحتفالية أو الرمزية الجماعية الإشاراتية التي كانت تتمثل في الطوطم (مادة) الذي يدل علي قبيلته

أو عشيرته. وكان الطوطم يزخرف بالنقش ليروي قصة أسلافه أو تاريخهم. وفي المجتمعات الصغيرة كانت الفنون تعبر عن حياتها أو ثقافتها ، فكانت الاحتفالات والرقص تعبر عن سير أجدادهم وأساطيرهم حول الخلق أو مواعظ ودروس تثقيفية. وكثير من الشعوب كانت تتخذ من الفن وسيلة لنيل العون من العالم الروحاني في حياتهم. وفي المجتمعات الكبري كان الحكام يكلفون الفنانيين للقيام بأعمال تخدم بناء الدولة آنذاك كما في بلاد الرافدين وبلاد النيل، فلقد كانت الطبقة الراقية تقبل على الملابس والمجوهرات والمشغولات المعدنية الخاصة بزينتهم، لتدل على وضعهم الاجتماعي.

ويقدّم لنا "ول ديورانت" تحليله ورؤيته لبدايات الفنون ونشأتها في الجزء الأول من كتابه "قصة الحضارة"، وذلك من خلال نظريات العديد من الفلاسفة والباحثين التي جمعها في رؤيته الخاصة الموحدة بالشكل التالي: (صنع الإنسان القديم آلاته الموسيقية من مواد بسيط، وهي من حيث الأنواع لا تكاد تقع تحت الحصر... صنعها من قرون الحيوانات وجلودها وأصدافها وعاجها، ومن النحاس والخيزران والخشب. ثم زخرف الإنسان هذه الآلات بالألوان والنقوش الدقيقة.... ونشأ بين القبائل منشدون محترفون. وتطور السلم الموسيقي في غموض وخفوت حتى أصبح على ما هو عليه الآن.

أنواع الفنون :

1. فنون مرئية/بصرية: مجموعة الفنون التي تهتم أساساً بإنتاج أعمال فنية تحتاج لتذوقها إلى الرؤية البصرية المحسوسة على اختلاف

الوسائط المُستخدمة في إنتاجها.

2. فنون جميلة: الفنون التي ترتبط بالجمال والحس المرهف اللازم لتذوقها ، وترتبط حالياً بالدراسة الأكاديمية للفنون الكلاسيكية الجميلة

مثل : الرسم والتصوير الزيتي والنحت والعمارة والموسيقى والباليه.

3. فنون تشكيلية:هو إنتاج عمل فني من الطبيعة ويُصاغ بصياغة جديدة؛ أي يُشكل تشكيلاً جديداً ، وهذا ما نطلق عليه كلمة (التشكيل).

4. فنون تطبيقية: الأعمال الحرفية التي تنتج أعمالا تتصف بالجمال وتحتاج إلى الحس الفني لإنتاجها.

أقسام الفن :

لقد قسم الفن قديما إلى سبعة أقسام لكن حديثا فقد قسم إلى ثلاثة أقسام شاملة هي :

- الفن التشكيلي، مثل الرسم – الألوان – الخط – الهندسة – التصميم – فن العمارة – النحت – الصناعات التقليدية – الأضواء....
- الفن الصوتي، مثل الموسيقى – الغناء - عالم السينما والمسرح – الشعر – الحكايات – التجويد – لترتيل...
- الفن الحركي، مثل الباليه – السرك – الألعاب السحرية – بعض الرياضات – البهلوان والتهريج – مسرح الدمى...

الإنسان والبيئة :

منذ أن وجد الإنسان على الأرض تفاعل مع مكوناتها وخاماتها البيئية فطوع خاماتها لسد حاجاته من مأكل ومشرب . ومن أجل بقائه حياً أخذ يبحث عن حاجاته التي تديم بقاءه فاكتشف النار وتعلم الزراعة وتدجين الحيوانات وترك مطاردتها ليصطادها ولتكون طعاماً له ولكي يعيش بسلام واستقرار أنشأ مساكن ليأوي إليها.

وحينما استقر في بيئته بدأ يصنع أدوات بسيطة لما كان يحتاج إليه لبداءة عيشه وبساطة تفكيره وتصوره.

وبعد أن استقر به المقام بدأ يتطور ففكر بتعمير الأرض إلى أن وصل إلى ما هو عليه الآن فكيّف خامات البيئة وطوعها له.

ومن المهم أن تكون ثمة علاقة وطيدة بين الإنسان و بيئته، هدفها العيش الكريم المنسجم، كون الإنسان يحتاج إلى البيئة على الدوام وكذلك البيئة فهي تحتاج الإنسان في تحقيق مبدأ التوازن في الطبيعة.

ومن هنا فقد فهم الإنسان (الفنان) بأن الخيال وقابلية الحس يعودان إلى الحقل البيئي الذي يعيش فيه ذلك الفنان وهذا ما قاده وعبر العصور إلى حب الطبيعة فكاثر الأشجار وأنتج الثمار الجديدة وجرّب زراعة الزهور في مناخات مختلفة في إنتاج الجميل . ثم أضاف ما تمكن من إضافته من أبنية ونحوت أو رسوم إلى ما وهبته الطبيعة ليجد شكلاً أجمل مما هو فهو يسعى دءوبا وراء الحس ويسخّر كل ما تعلمه في انجاز مهمته.

الفن والبيئة :

مما لا ريب فيه أن الإنسان هو ابن بيئته فهو يحيى في بيئة طبيعية لها صفاتها الخاصة التي تختلف من منطقة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر.

ولا يخفى على أحد أن البيئة أمنت الإنسان بكل ما يحتاجه في أموره الحياتية، ولم يتوقف الإنسان عند حد الأخذ من البيئة كما هو عليه، وإنما بدأ بإضافة مسحة من الجمال والفن عليها، وهكذا ظهر فن مرتبط بالبيئة، يمكن أن نصطلح عليه بـ (الفن البيئي)، وهو فن له طابع حضاري.

يمكن بواسطته أن نرى منزلة شعب من الشعوب بقياس مستوى فنونها وبالتالي يمكن استنتاج مستوى فنانيها بل معرفة مقدار تفاعلها مع الفن ومنزلته بين شعبها.

ولما كان للفن البيئي طابع حضاري والحضارة ظاهرة إنسانية تكتسب ديمومتها وعظمتها من مقدار عطائها المقدم للإنسانية بصورة عامة وشعبها بصورة خاصة . وديمومة هذه الحضارة ترتكز على نقطتين رئيسيتين

أولهما: مقدار تفاعلها مع الحضارات المعاصرة وثبوتها في هذا التفاعل.

وثانيهما: مستواها العام _ولا سيما الفني_ الذي يسبب ديمومتها فالأعمال الفنية الجميلة هي التي بقيت محفوظة بعين الرعاية ومحروسة في متاحف الدنيا وكذلك الأبنية البعيدة التي ترعاها يد الإنسان للحفاظ عليها من عاتيات الزمن وتطاول الدهر ومقدراته.

إن التطور في حياة أي أمة يعني النمو مضافاً إليه التعبير الاجتماعي والثقافي والاقتصادي.

ولا تتحقق التنمية باستغلال رأس المال المادي فحسب، وإنما يكون بالناس الذين هم العناصر الفعالة في التغيير، وهم الذين يستغلون المصادر الطبيعية.

وعليه فأن تجميل البيئة يعني إعطاء الإنسان القدرة والقابلية للحفاظ عليها وعلى نموها وحمايتها لضمان استمرارية التنمية.

ومن هنا فأن البيئة والفن يلتقيان ويحققان انجازاً رائعاً، ويبقى الإنسان يستفاد من البيئة، وتبقى البيئة في خدمة الإنسان لينتجا فناً راقياً.

لقد حفظت لنا الطبيعة العديد من أعمال البشر في الكهوف والمغارات وما خلفته لنا الحضارات العراقية القديمة كحضارة السومريين والبابليين والآشوريين، وكذلك ما نراه في حضارة مصر القديمة والحضارة اليونانية والحضارة الهلينستية والحضارات الأخرى، سجل حافل بالأعمال الفنية والحوادث التي ترينا مسيرة هذا الإنسان الدءوب الذي يسعى من أجل مستقبل أفضل وعيش رغيد.

فالإنسان الفنان سواء أكان قد عاش قبل آلاف السنيين أو أنه يعيش في وقتنا الحاضر، فأنه يفكر بالطبيعة وجمالها ويستوحي منها ويريد أن يجملها . وهذا يرجع إلى حبه للعمل وامتلاكه العقل المفكر واليد الصانعة.

البيئة وأثرها على الفنون :

البيئة هي كل ما يحيط بالكائن الحي (الإنسان) ويتفاعل معه ويؤثر ويتأثر به . فإذا جادت البيئة على الفنان بالمواد الأولية رأينا عمله جيداً من الناحية التكنيكية وهذا ما رأيناه في الفن المصري القديم حيث البيئة المالكة لأنواع الحجر والعدد من المعادن . فنحتت المنحوتات ورسمت الجدران التي بقيت_ ومنذ آلاف السنين_ حتى يومنا هذا مقاومة للزمن في صلابتها وتماسك ألوانها ونظارتها ، ولما شحت الطبيعة بالأحجار في جنوب العراق، رأينا التماثيل التي خلفها الفنانون صغيرة ، وما وجدناه كبيراً نسبياً مثل مسلة حمورابي أو أسد بابل فقد استوردت من مكان آخر(من شمال العراق) في حين نرى على العكس في شمال العراق _ حيث موطن الفن الآشوري_ فنجد من التماثيل ما يزن عدة أطنان_ مثل الثور المجنح والنحوت الجدارية (الرليفيات) التي وجدت بمدينة خرسباد والنمرود ونينوى وغيرها.

ثلاثية الإنسان والفن والبيئة :

ذكرنا إن الفن والإنسان عنصران متلازمان، وإن الإنسان هو الذي أوجد الفن وعاش معه . فالفن هو نتاج الإنسان المبدع الفنان، وكل دراسة للفن بمعزل عن الإنسان تعد دراسة محدودة . ورغم الاختلاف المنهجي بينهما الذي أوجد الأساليب المتعددة لكنهما يلتقيان في هدف واحد هو تحقيق الانسجام بينهما ثم أن طبيعة الإنسان المرنة القابلة للتجديد والتشكيل طبقاً للبيئة والعادات التي يعيش فيها الإنسان، تجعل منه دائما مبدعا مكتشفا لأساليب وأنماط جديدة .

وبذلك تعددت التغييرات ولا سيما الفنية منها في المجتمعات والبيئات المختلفة . وهذا ما يميز الفروق بين حضارة وأخرى.

إن اختلاف الأساليب الفنية دلالة على تطور الجماعة البشرية التي عكست هذه التطورات بأنماطها الفنية . ولذلك تنوعت نتاجات الحضارات طبقاً لتنوع البيئة والخامات.

رفض الإنسان منذ القدم أن يعيش منعزلاً وبشكل فردي وبذلك كوّن جماعات شاركت في رسم اللبنات الأولى لأقدم الحضارات، ولهذا أوجدت هذه النفسية المنبسطة ، روابط كثيرة لتجمعها وكان الفن من أهم الروابط التي ربطت الشعوب والأمم .

وفي حدود موضوعة الفنان فأنه في كل عصر عند تفريغه لطاقته التعبيرية التلقائية خلال الأشكال، انه يستخدم ما تحت أيديه من خامات ومواد ، ففي الصور البدائية كان يحفر ويرسم على جدران الكهوف وفي عصور أخرى كان يقيم المعابد والكنائس والمساجد ويزينها ، في عصور ثالثة كان يرسم بالزيت على القماش . وهكذا فأن الفنان الحقيقي هو الذي يحقق الإنتاج الفني خلال أية مادة أو وسيلة يفرضها عصره مادام قادراً على استخدامها في تحقيق رغبته التلقائية في التنفيذ .

ولما تنوعت المواد الأولية في وقتنا الحاضر رأينا الفنون اتخذت خامات لا حصر لها .

نبذة عن الفن البيئي _ تعريفه _ هدفه . أهميته _ فوائده :

لقد أدركنا إن للبيئة الطبيعية فضلاً على الإنسان، وان الإنسان يعيش بين أحضانها وبذلك وجد ما نسميه بالفن البيئي، فما الفن البيئي ؟ هو فن الحياة اليومية الذي يرتبط بحياة الإنسان ويعيش معه زماناً ومكاناً ، فهو الفن الذي ربما يكون مغلقاً بين الجدران كما في البيوت والصالات والمعارض المغلقة والمتاحف وكل ما هو محجوز، أو هو ذلك الفن الموجود في داخل المدينة وخارج أبنيتها في بيئة محددة . فرض الفن نفسه عليها وفرضت البيئة شروطها عليه . وهو فن هادف يتفهمه أغلبية ذلك المجتمع الذي يعيش فيه من كافة الطبقات ويتعاطف معهم فهو ذو مفهوم أبعد من مفهوم اللوحة المؤثرة والتمثال التقليدي.

إن ما نقصده بالفن البيئي هو ذلك المفهوم الذي درجت عليه المعرفة الإنسانية وألفته وهو الذي كونت منه الإبداعية الفنية هيئة أو شكلاً فنياً باستخدام عناصر مصممة بغض النظر عن حجمه، وله عرض جمالي هو تزيين ذلك المنظر الذي وضع فيه ويكون هو (العمل الفني) جزءاً جذّاباً للكل . وان هيئة (Form) أو شكل (Shape) تكون في صلب المنظر الكلي (من ضمنه) فكل شيء في الكون من تخطيط أو رسم أو نحت أو سيراميك وغيرها أسس رئيسية وعناصر مكونة لهذا النوع من الفن.

إن اشتراك العناصر المختلفة على شكل توليف (كولاج Collage) وربطها وتكوينها بشكل جميل هو الهدف الرئيسي من النتاج الفني لهذا الموضوع . وبمعنى آخر أن الفن البيئي هو عملية فنية أو توليف بين عدة مواد

(كولاج) لتكوينات مختلفة الأحجام لتملأ فضاء ما وتجذب نظر الناظر بشكل ممتع . ويفضل استعمال مادة ما لا حاجة للإنسان بها من المواد وبذلك ينقلب الخسيس نفيساً بالعملية الفنية .

إن للفن البيئي الدور الرائد في تكوين الأشكال الفنية لتحريك حيز جامد من المساحة المصورة.

سبق وإن ذكرنا إن الفن البيئي وجد منذ القدم، فقد استخدم الإنسان الخامات البيئية ووظفها لإنتاج أعمال فنية راقية لكن الفن البيئي كفن قائم بذاته ظهر في العصر الحديث بمبادرة أولى لهذا الفن في ميونخ (ألمانيا) في نهاية 1930. ثم وجدت جماعة من الشباب الرسامين في نيويورك (أمريكا) في عام 1952. ثم تشكلت جماعة من اليابانيين في كوتاي عام 1955 ولكنهم خرجوا بمفاهيم وأفكار جديدة في أعمال الفن البيئي.

إن نجاح هذا النوع من الفن هو لجلب المتعة والفرح للمتلقي وذلك بتزيين المدن، ومن أشهر الفنانين الرواد الذين قادوا هذه الحركة الفنية في هذا المضمار هم : ولتر كاو ندنك، وألان كابرو، وجيمس فاين، وكلاوس اولدنبرغ، وسلفادور دالي.

هدف الفن البيئي :

يهدف الفن البيئي إلى تفسير الطبيعة بواسطة إنتاج أعمال فنية تخبرنا عن الطبيعة وعملياتها أو عن المشاكل البيئية التي نواجهها. الاهتمام بقوى البيئة و موادها بإنتاج أعمال فنية متأثرة أو مصنوعة بواسطة الرياح، المياه، البرق، وحتى الزلازل.

تجديد و إحياء علاقتنا بالطبيعة بتقديم أفكار في أعمال فنية للتعايش مع بيئتنا.

علاج و استعادة البيئة المتضررة و صيانة النظم البيئية بطريقة فنية وغالبا بطريقة جميلة.

هذا الفن يرفض إساءة الإنسان للبيئة ويدعو للعودة لحضنها الدافئ لنعيش معيشة حقيقية متمثلا قول : (جبران خليل جبران) إذ يقول :

(لاتنسوا أن الأرض تَلتَذ ُبملامسة أقدامكم العارية ، وأن الرياح تَتشوقُ إلى مداعبة شعوركم المرسلة) .

أما أهمية الفن البيئي وفوائده فهي :

للفن البيئي أهمية وفوائد عديدة غير منظورة فهو فن مهم يمتلك خصائص مهمة ومن هذه الفوائد :

1. يزيد من تنمية الذوق الفني فهو فن جماهيري يعيش بين الناس .
2. ينشر الثقافة الفنية ويزيد من القيمة الحضارية للمنطقة التي يكون فيها.
3. إن المواطنين الذين يعيشون متجاورين مع الأعمال الفنية يحسون بها .
4. تكون تلك الأعمال نقطة دالة لهم ولحياتهم الخاصة ويحسون بحركة الحياة أكثر.
5. هو فن لكل الناس، أي أنه فن مفتوح بعيداً عن صالات العرض والمتاحف المغلقة والمعارض وكل ما هو محجوز .

وهو فن هادف يتفهمه غالبية أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه، فهو مفهوم أبعد من مفهوم اللوحة المؤطرة والتمثال التقليدي .

عناصر الفن البيئي :

مما لا شك فيه أن لكل عملاً يدوياً نمطاً معيناً من المكونات والخواص التي يمكن أن نتبينها أو نجدها بوضوح في تلك الأعمال التي ينتجها المبدع وبلا تحديد، ومن البديهي أن البيئة الساحلية أو الجبلية أو الصحراوية أو الزراعية تؤثر تأثيراً فعالاً على مستوى الإبداع والذي يعبر عن المحيط بهذه الطريقة أو تلك .

فالبيئة إذن ومن خلال المستوى الجغرافي الذي تتمتع به تشكل سمات وخواص هذا المكان أو ذاك.

فالمنطقة الجبلية مثلاً تزخر بالمواد الصلبة والألوان الزاهية والجمال الظاهري الناصع للأشياء وهذا بدوره ينعكس على النتاج الإبداعي وعلى الطبيعة أو الحقيقة الإنسانية، وبنفس الاتجاه فان البيئة الصحراوية ذاتها تنطوي على المزيد من القيم والاعتبارات الأخرى بما من وداعة وبساطة وحرارة وجفاف وستترك هذه الملامح وسواها أثرها على الإنسان حتى ليبدو لنا من الصعوبة خلعها من النتاج الإبداعي . لأنها تمثل نسيج حياته وشرط وجوده، ليصبح هذا الكلام على البيئات الساحلية والزراعية والصناعية.

إن الفنان وفق هذا المعنى والإنسان بشكل عام يستفيد من مادة المحيط وما تقدم له من مقومات سواء أكانت متوفرة في الأشجار والصخور أو الرمال،

تتحول كلها إلى أعمال فنية حسب طاقة المبدع . وتعمل هذه العناصر كذلك إلى رسم ملامح هذه البيئة أو تلك ولا نستطيع أن نتعرف على الفن البيئي ما لم نتعرف على العناصر الأساسية المكونة له وإذا كنا ندرك الفن بلا إنسان نعرف أيضاً أن لا إنسان بلا فن وعناصر الفن البيئي ثلاثة :

1. البيئة .
2. الإنسان .
3. الفن .

فالبيئة في مفهومها المعاصر تعني نظام متكامل من مجموعة العوامل أو العناصر الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية . التي تحيط بالإنسان ولا غنى له عنها.

أما كلمة بيئة فقد حدد معناها في مؤتمر ستوكهولم بأنها تدل على أكثر من مجرد عناصر طبيعية بل هي رصيد الموارد المالية والاجتماعية المتاحة في وقت ما وفي مكان ما لإشباع حاجة الإنسان وتطلعاته وبذلك يمكننا القول أن البيئة تمثل الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ومأوى وحاجات أخرى ويمارس مع أقرانه من البشر العلاقات الإنسانية والبيئية.

وهي أيضاً ليست مجرد موارد يتجه إليها الإنسان كي يستمد مقومات حياته بل تشمل علاقة الإنسان بالإنسان التي تنضمها المؤسسات الحكومية أو العادات والتقاليد الاجتماعية ، أي أنها تمثل نظاماً متكاملاً وذو حدود طبيعية وليس من الضروري تطابق سلوك الإنسان مع الوضع البيئي الموجود ولكن أي

خلل أو تدهور في هذه العناصر ستؤثر على النظام البيئي ككل وتشير بعض المصادر أن البيئة هي التي تمثل كل الظواهر والعوامل التي تؤثر في الكائن الحي من الخارج وما يهمنا هنا كيف نشرك الفن في البيئة ومن ثم تجميل ملامحها لكي نساير الحضارة المعاصرة وندخل الفن من باب التنمية ويمكننا أن نصل إلى ذلك عن طريق التوازن البيئي الذي يساعد على الازدهار والتقدم .

أن عدم الاهتمام بثراء الطبيعة يقود إلى تدمير الأشكال الحية وبالتالي التأثير سلباً في الإنسانية .

وتزيين البيئة الحضرية لم يسفر عن الحوائط الملونة فحسب وإنما استطاع أن يجد بدائل جمالية وبصرية غاية في الإبداع والإمتاع . إن الضغط على معايير الطبيعة قد تؤدي إلى موت الجمال فيها ويحكى أن فلّاحاً صينياً لم يصبر على معدات النمو الطبيعي لمزروعاته فكان يذهب إلى الحقل ويسحب نبتة ليسرع من انضباطها ...... وعندما ماتت المزروعات المخلوعة أدرك أن للطبيعة معايير خاصة .

وكما أن الطبيعة في الزمن البعيد كانت المصدر الرئيسي في تهيئة القوى المعادية للإنسان (البرد ، المرض، الوحوش، الجوع، الخوف) فان الحياة المعاصرة والوحوش الكاسرة تأتي من الإنسان مثل الحروب وصراع الإنسان والتكوين البيئي وغيرها من كوارث الإنسان .

إذن وخلاصة لما تقدم فأن المعادلة تقول إنسان + طبيعة = فن ولا يمكن قلب المعادلة بجعل الفن في الخط الأساسي لأنه ليس عامل أساسي بل هو ناتج من هذه العلاقة .

الفن البيئي :

مما تقدم نستطيع القول، إن الفن البيئي هو احد الفنون التي استلهمت الإرث الحضاري للبيئة في إعادة الصياغة الجمالية بقولبة فنية جمالية بخصوصية تامة لهذا الفن، وذلك بتحويل المهمل إلى قيمة بصرية . ولاشك أن أي عمل بيئي هو نتاج فكرة تهتم بالجمال، الذي يرتبط بالفن بكل أشكاله، مما يعني أن العمل البيئي عمل فني بكل المقاييس؛ وقد يتبادر للأذهان أن كلمة بيئي تعني بالدرجة الأولى مفاهيم أكاديمية مرتبطة بعلوم النفس والتربية والسلوك، لان المتعارف عليه من النواحي الفنية المرتبطة بالجمال والفكر كالرسم والنحت والفن التشكيلي وتفرعاته الحديثة، عدم وجود فن يطلق عليه بيئي، فهل بالإمكان ربط هذا الفن بالإبداع؟. نستطيع القول أن الفن البيئي، استطاع رغم حداثته نسبياً أن يفرض حضوره على الساحة الفنية بشدة وبشكل يومي حتى بات يطلق عليه أحياناً الفن الجماهيري، وهذا الفن ضارب بجذوره منذ القدم في كهوف الإنسان الأول وهو ليس حديث كما يعتقد الكثيرون.

من الضروري أن نتقبل هذا الفن على انه الفن الذي تجاوز حدود القاعات وحطم سور الصالونات ليلتصق التصاقاً مباشراً بالإنسان في محيطه الخارجي ويتسم بطابع خاص (خاصية فنية).

والفن البيئي هو فن ذو رسالة تعبيرية تهدف لتغيير الذوق البصري لدى جمهور المتلقين وإرضائهم في نفس الوقت، وكذلك تغيير عاداته وسلوكياته من خلال توجيه رسالة فنية تربوية جمالية تحمل طابعاً فكرياً في قالب فني تشكيلي محبب إلى النفس يحفز المتلقي وينمي قدراته؛ وإذا ما نحينا الأدوات المستخدمة في الفن البيئي جانباً والتي يفترض فيها ديمومة طويلة الأجل للمنجز الفني حتى تنحاز الطبيعة لمعطيات ذلك المنجز، فهو في النهاية يأتي ليعالج خللاً اعترى الساحات والمناطق العامة وواجهات المباني بإضافة لمسات جمالية تلبي رغبات الجماهير في حب الفن البيئي وإحياءً للتراث وعقد صلح مع المشاكل البيئية التي تأتي بفعل قوى الطبيعة والرياح والمياه والزلازل.

ويختلف الفن البيئي اختلافاً كلياً عن الفن التشكيلي - مع أنه جزء منه - من حيث نقطة الشروع إن صح التعبير حيث ينطلق العمل الفني التقليدي، في حين ينطلق الفن البيئي من نسبة المستوى وطبيعة المكان المراد معالجته جمالياً بفن بيئي مميز.



ومن هنا كان نجاح العمل الفني البيئي يكمن في أربعة جوانب مهمة تتمثل في الجوانب التقنية والمهارية والنظرية وأخيرا الأكاديمية؛ ولكن السؤال هو :هل يستطيع الفنان البيئي خلق تواشج بين كل هذه الجوانب وبين المواد الخام المستخدمة في هذه الأعمال خروجاً عن المألوف وبعيداً عن أطر اللوحات القماشية ودخولاً إلى فن أكثر جدلا وهو: فن المهملات ؟

بتحويل كل ما رمي من أشياء وأدوات، لأعمال ذات قيمة فنية. بأسلوب فني بسيط ومباشر يفهمه الإنسان البسيط بكل بساطة متميزاً بالقوة في الطرح الفني والتعبيري والجمالي مما يكسب العمل صفة الريادة في مجال الفن البيئي.

والهدف من الفن البيئي هو الاقتناع بأن كل شيء يرمى من الممكن أن يشكل عملاً فنياً إذا أعيد تدويره بشكل فني .

وهو الفن الذي يتجاوز الحياة اليومية، و حدود القاعة، ليكون على مرأى من العامة، ويقر معظم النقاد صعوبة هذا الفن وصعوبة تحقيق كل من نقاط الفن البيئي لأنه وليد مرحلة معينة أي وليد مدارس ما بعد الحرب، ، إن هذا الفن المتابع لتداعيات الإبداع في مجال الفنون التشكيلية يتبين تعدد الأساليب الفنية المستحدثة وهي غالباً ما تهجر مواقعها التقليدية، مثل فضاء اللوحة إلى فضاءات أرحب، فخرج الفنان من المرسم، مع حرص على استخدام حوامل غير مألوفة أو أمكنة غريبة، خارج فضاءات العروض المعتادة والهدف منه هو مد جسراً مع المتلقي، وهكذا فعبر الفن البيئي، سوف يلتقي الناس في لغة الحوار، فهو فن ذو رسالة تعبيرية .

وتعد الفنون البيئية في مجتمع ما والموروثات التراثية واحدة من أبرز الفنون الشعبية الفطرية في تاريخ الحضارة الإنسانية، إذ تظل شاهدا حيا على الثراء الثقافي والتحضر والتقدم .

ومن الفنون القديمة التي استثمرت البيئة هي فنون السجاد اليدوي، والتي تعد من الفنون التي أثبتت تميزها في إنتاج لوحات واقعية وتراثية بديعة .

وكذلك الفنون التي استثمرت سعف النخيل (الجريد) والتي أمتاز بها العالم العربي لاسيما في العراق في إنتاج أعمال فنية جمعت بين جمال الصنعة وفائدة الاستعمال .

وأما عن فنون الفخار اليدوي، و التي اهتم بها العرب منذ القدم، إذ تدل التنقيبات الأثرية التي أجريت على أن صناعة الفخار كانت منتشرة منذ آلاف السنين، لوجود المواد الصالحة لهذه الصناعة، واحتياج السكان إلى الأدوات الفخارية في طهي الطعام وحفظ المياه، ومازالت هذه الصناعة موجودة في مناطق كثيرة في الوطن العربي، إذ استطاع الإنسان العربي أن يطور من الصناعة والاتجاه إلى إنتاج أواني غير تقليدية تجذب الجميع إليها.

وظائف الفن البيئي:

1. تفسير الطبيعة بواسطة إنتاج أعمال فنية تخبرنا عن الطبيعة وعملياتها أو عن المشاكل البيئية التي نواجهها.
2. الاهتمام بقوى البيئة و موادها بإنتاج أعمال فنية تشترك قوى الطبيعة في إنتاجها كالرياح، المياه، الشمس وغيرها .

3. عقد صلات وثيقة بين الإنسان والطبيعة بتقديم أفكار في أعمال فنية للتعايش مع بيئتنا.
4. إصلاح البيئة المتضررة وصيانة النظم البيئية بطريقة فنية من خلال خلق أعمال بيئية جميلة.

وبهذا فإن الفن البيئي هو موجة ما بعد الحداثة وهو رد فعل على انتشار النفايات بشكل بات يمثل خطراً مستفحلاً في المجتمعات فكان الاتجاه نحو استغلال تلك النفايات في مجسمات بيئية وأعمال جمالية عكست بشكل جدي اهتمام الفنان بالمناحي الجمالية حفاظاً على خلق بيئة نظيفة وإيجاد وعي فني في محاولة للحفاظ على كوكبنا (الأرض) .

العوامل المؤثرة في الفن البيئي :

منذ أن نشأ الفن تأثر بعوامل عدة من الممكن أن نلخصها بأربعة عوامل وهي

1. العامل الاجتماعي.
2. العامل السياسي.
3. العامل الاقتصادي.
4. العامل الثقافي

العامل الاجتماعي :

يعد العامل الاجتماعي من أهم العوامل المؤثرة في الفن البيئي، إذ يؤثر تأثيراً مباشراً في توجيه الفنون ولاسيما الفن البيئي .

يـرى أنصـار النظريـة الاجتماعيـة _ وقـد عولـوا علـى المجتمـع الأسـاس الجوهري للفن . إن الفن ليس نتاجاً فردياً بل هـو ضـرب مـن الإنتـاج الجمعـي، سواء قررنا إن الفن وجد مع الإنسان البدائي، أو كان نتـاج الـدين فهـو عنـدهم بالإجماع تجارب إنسانية انحدرت من أسلافنا عن البدائيين ووصلتنا عـن طريـق الآباء والأجداد .

يعد العامل الاجتماعي العامل الأوسع إذ يشمل التقاليد والأعراف والعادات والموروث الشعبي . لذا فان العمل الفني الجميل هـو لإرضاء مكونات مجتمع مـا _ ولاسيما المجتمع الذي يمتلك طبقات مختلفة في مستواها الفكري والثقافي .

ومن المفيد أن نذكر أن الفن البيئي مجال لا يسبر أغواره إلاّ ذوو الإبداعات الـذين يمتلكـون إمكانيـة الإحسـاس بمـا يـدور في خلـد المجتمـع وكيـف يمكـن إخراج العمل البيئي بالشكل الذي يحقق تأثيراً جمالياً في نفس المتلقي .

العامل السياسي :

الفنان بطبعه يميل إلى الحرية للتعبير، فأينما وجدت الحرية وجد الإبداع لذلك فالفن يتأثر بالجانب السياسي لمنطقة ما وبالتالي يظهر نتاجه تبعاً لذلك .

العامل الاقتصادي :

يرتبط الفن بالعامل الاقتصادي ارتباطاً قوياً فكلما كان هنـاك انتعـاش اقتصادي ظهرت الدعوات إلى تشجيع الفن وبما إن الأمم تنهض بفنونهـا فكـان الفن منذ القدم موضع اهتمام .

والدليل على ارتباطه بالعامل الاقتصادي هو ارتباطه منذ أن نشأ بالمنفعة فقد زين الإنسان القديم كهوفه التي سكن فيها برسوم للسيطرة على الحيوان لاصطياده وهذا ما يحقق له منفعة اقتصادية .

ثم زخرف أوانيه الفخارية وباعها لغرض المنفعة الجمالية والاقتصادية.

العامل الثقافي :

يعد العامل الثقافي ركناً أساسياً ذلك لأن الفن مرآة تعكس ثقافة الشعوب ورقيها الحضاري .

والثقافة هي المنهل الذي تنهل منه الشعوب المتطورة والفن هو الإبداع في النتاج الفكري بالدرجة الأولى والمادي بالدرجة الثانية .

فالفن لغة رمزية معبرة، وهو انعكاس لثقافة الفنان المبدع.

إن غنى الثقافة الفردية والجماعية للمجتمع ركن أساسي لبناء الثقافة العامة التي هي أهم ركيزة من ركائز الحضارة. فالثقافة الغنية والحضارة الراقية يعطيان ثمرة نافعة وهي (الذوق) .

لقد ذكر الناقد الفني أر. أج. ويلنسكي : إن الثقافة هي النشاط الخلاق فيما يخص القيم الإدراكية والروحية لدعم تماسكها وفق ظروف فكرية تحررها من القيود . ونعني بكلمة (الذوق)، الذوق الفني وهو الحيز المستمر لصنع بعض أنماط الفن بشكل يتميز عن الأنماط . بقي أن ننوه إلى إننا كلما ازددنا ثقافة ازددنا تذوقاً للفن .

ومما تقدم يمكن أن نصل إلى إن ذوق الإنسان هو إحساس ذاتي ينبع لديه من محصلات ظروف اجتماعية وطبقية .

والذوق هو نظام مثالي جمالي، يمكن اكتشافه من الآراء الجمالية للإنسان وذوق الفرد يحتوي بدرجة كبيرة على لحظات ذهنية وعلى أنظمة قياسية وطبيعية .

والذوق ينمو ويتطور تبعاً لتطور الثقافة الإنسانية ولكن من المفيد أن نذكر أن الأذواق غير متشابهة فهناك اختلافات فردية ومن هنا قال من قال ((لولا اختلاف الأذواق لبارت السلع)).

الإحساس بالجمال :

لا يمكن فصل الإنسان عن الجمال فهو يسعى منذ بدء الخليقة الأولى إلى تربية إحساساته والعمل على تهذيبها من أجل الاتصال بالإبداع والحضارة والجمال على نحو مستمر . فلا يمكن تخيل الإنسان بعيداً عن الجمال فهو يساعد على رؤية الأشياء بالإضافة إلى تهذيب الإحساسات فضلاً عن دوره الفاعل في صياغة الإبداع والجمال .

والإنسان كائن يتحكم بالأشياء ويستطيع أن يحولها من حال إلى حال، ولا يكتفي الإنسان بالحكم إنما يسعى إلى تحقيق الحكم ويتحقق ذلك بفعل الهيمنة على الطبيعة وعلى مكونات الحياة الأساسية .

ولعبت اليد دوراً أساسياً في تطوير الإنسان وحياته ووصوله إلى مستوى متقدم من الرقي وقد أدرك (توما الأكويني) الأهمية القصوى لليد إذ يقول : ((إنما الإنسان عقل ويد)) أي إن هناك سلطتين احدهما تشريعية وهي العقل والأخرى تنفيذية وهي اليد ، فسابقاً فكر العقل مثلاً في صناعة السيارات وكذلك باقي الاكتشافات فقامت اليد بتنفيذ تلك الأفكار وتحويلها من جانب الخيال والحكم إلى جانب الحقيقة أي بمعنى أن العقل هو مركز تحقيق الحكم واليد هي مركز تنفيذ ما يأمر به العقل . ويقول أيضاً (فرانكليين) "إن الإنسان ماهو إلاّ كائن يستخدم الأداة".

فالإنسان فقط هو الذي استخدم الأداة لجعل تحقيق أحلامه مثل صناعة آلات قاطعة من الصخر يستخدمها مثلاً في غذائه وفي غيرها من الاحتياجات بينما الحيوان لا يستطيع استخدام هذه الأدوات، إن اليد هي العامل الأساسي في عالم الحضارة وعن طريقها اهتدى الإنسان إلى سبيل الإنسانية .

وإذا كنا نعتقد بان الإنسان مرتبط بالعمل فإننا لا نستطيع فصله عن البيئة إن استطاع بجلده (أي بصبره) أن يحول الطبيعة من حال إلى حال مستفيداً من البيئة لتحقيق شتى المنافع منها للتعبير عن العواطف وتقليص الخوف والقلق من جراء اتصاله بالطبيعة . فقديماً كان الإنسان أو القبائل تستخدم حركات راقصة لشحذ الهمم والقضاء على القبائل الأخرى أو التهيؤ لحملات الصيد أو في الاحتفالات الدينية بشعائرها والتي كانت تؤدى إلى تثبيت الخبرة وتجعل من الإنسان يرتبط أكثر بالمجتمع وكذلك الإنسان استغل رسوم الحروب للإعلان وخلق الرعب في قلوب الأعداء أو للإيحاء بأنه الأقوى من الأعداء ونظراً لتعقيدات الحياة غدت الطبيعة والارتفاع في البناء

والتعقيد في طرق المواصلات مثل القطار، والطائرة، والسيارة، والصاروخ، كلها جعلت من الحياة تتطور وتختصر العديد من الأشياء .

فلهذا نلاحظ زيادة الاستفادة من كل شيء وكل جزء أو مساحة من المكان.

ورغم هذا التعقيد فان الإنسان لايستطيع بأي حال الاستغناء عن مكونات الطبيعة لأنها تشكل شرط وجوده .

فإذن يمكننا أن نستدل على علاقة الإنسان بمكونات المحيط (البيئة) من خلال المكونات الإبداعية المتمثلة في العمارة، الشعر، الرسم، النحت ... الخ.

فإذا نظرنا إلى عصر النهضة وإلى نتاجات المبدعين في ذلك العصر ندرك مدى ارتباط الإنسان هناك بالبيئة وكذلك إذا نظرنا إلى أهرامات مصر العملاقة نختصر كل تاريخ مصر العظيم بما فيه العقائد والمثل والقيم وكذلك الحال إذا نظرنا إلى بوابة بابل ويصح هذا القول كثيراً على بقية المنجزات الكثيرة التي ابتدعها الإنسان في هذا المكان أو ذاك.

ما هي بيئة الحياة :

لقد أقرت هيئة منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة عام 1967 ((أن بيئة الحياة هي ذلك الجزء من الحياة الذي يؤثر فيه الإنسان ويتأثر به أي الجزء الذي يستخدمه ويستغله ويتكيف معه)).

أما (س، ويك) فيعرف بيئة الحياة على الوجهة التالية : ((انه نتاج تاريخي للعلاقة بين الإنسان والطبيعة وعلاقة الإنسان بالإنسان)) فهو بهذا التعريف يضع أهمية للعلاقة بين البشر ويمكن تقسيم بيئة الحياة إلى ثلاثة مجاميع متكاملة ويعتقد أن من أفضل التقسيمات وأكثرها ملائمة هي :

1. البيئة الطبيعية المفتوحة والمتصلة بالسياحة والنقاهة والجمال.
2. بيئة السكن والمعيشة وهي تمثل البيوت والخدمات.
3. بيئة العمل وتمثل التجمعات الإنتاجية الكبيرة ومواقع العمل .

ومنذ زمن سحيق ارتبط الإنسان بالظاهرة والطبيعة وبالعالم الخارجي وكان البحث في مشكلات البيئة يمثل له باعثاً على السعادة ومنذ الأزل كان الإنسان يتصل ويتفاعل بالمحيط كي يعثر على بدائل تليق وحياته الحاضرة . ويعمل كذلك على تكيف الواقع وذلك عبر وضع الأفكار موضع التطبيق لكي تبدو بمثابة حقائق ملموسة وتحت متناول اليد . والواقع أن الفن لا يتطابق مع الواقع لأن الفن هو واقعة جمالية فوق الواقع المألوف الذي نحياه يومياً على حد تعبير بودلير (الشاعر الفرنسي) وبالطبع إن هذا المعطى الجمالي في الفن سينسحب بشكل أو بآخر على شبكة المفاهيم والأعراف ويعمل على خلخلتها وفق معطيات العصر .

فقد أكد (ارنست فيشر) : أن الفن ملازم للإنسان حتى يفهم العالم ويغيره وهو ملازم بسبب هذا السحر الكامن فيه . وهنا يكون للمبدع دور كبير في إبراز المواطن الجميلة من القبيحة وبالتالي تضييق الخناق على مسببات القبح وبالتالي يسعى إلى شيوع الخير والجمال والتي تبرز وجود

الإنسان وآدميته وان لمحة خاطفة إلى كل منجزات المبدعين في شتى نواحي المعارف والثقافات والفنون ترينا بأن الفن لا يمكن أن يعيش بمعزل عن الحياة لأنها هي التي تفتح له الآفاق وفرص الإبداع وعوامل التحفيز.

البيئة الطبيعية والبيئة المصطنعة :

إننا عندما نذكر كلمة (البيئة) فإننا نقصد مكونات الوسط الذي يتفاعل معه الإنسان مؤثراً ومتأثراً بشكل يكون معه العيش مريحاً فسيولوجياً ونفسياً . وبيئة الكون بيئة واحدة وإن قسمت إلى أقسام وكل قسم هو جزء من الكل، فالصحراء وما فيها من نباتات وحيوانات وغيرها نظام بيئي صحراوي، والمنطقة العشبية (السفانا) نظام بيئي :(وهي المنطقة المحصورة بين خط الاستواء والمنطقة المعتدلة)، نظام بيئي.

والأرض المزروعة نظام بيئي . والمنطقة القطبية نظام بيئي والغابة نظام بيئي . والمنطقة المائية نظام بيئي ولكل هذه البيئات خصائص وأنظمة مثل بيئة المياه العذبة وبيئة المياه المالحة . والبيئة غير ثابتة لأنها تتفاعل مع المكونات المتغيرة فعندما يتغير العامل البيئي يتغير نقيضه . ومن هنا تدخل الإنسان للمحافظة على التوازن لحماية الأنظمة البيئية من التدهور .

ولهذا تكونت البيئة من مكونات طبيعية وأخرى مصطنعة . تتكون البيئة من مكونات طبيعية مثل الأرض والماء والهواء والموارد الطبيعية المخزونة فيها كالنفط والثروات المعدنية وكذلك المصادر المائية وثرواتها، والثروات الحيوانية على اختلافها .

وهنـاك مكونـات بيئيـة مصـنعة (مسـتحدثة مـن قبـل الإنسـان) أوجـدها لحاجته إليها كالصناعات بأشكالها ووسائل المواصلات المتعددة والمختلفة وغيرها . وشيء يجب التذكر به أن الغابة بيئة طبيعية عاشت مئات السنين إن لم نقل آلاف ودون رعاية الإنسان، وبقيت هذه الغابات موزعه في عدة بقاع من العالم وستدوم مالم يعبث بها الإنسان أو تحل بها كارثة . ولكن البستان بيئة مصطنعة، حيث إن تركها من دون رعاية يسبب تلفها إن لم نقل موتها ثم تندرس وتصبح قاعاً ضعيفاً . وبذلك تقسم البيئة إلى قسمين رئيسيين هما :

1. البيئة الطبيعة .
2. البيئة المصطنعة من قبل الإنسان .

لقد مرت علاقة الإنسان بالبيئة بعدة مراحل وتغيرات مهمة . ففي بادئ الأمر وعندما كان الإنسان ضعيفاً وعندما سعى الإنسان على هذه الأرض صياداً يركض وراء لقمة العيش لا يملك مأوى سوى ما جادت عليه الطبيعة من مغارات وكهوف كانت السيطرة للبيئة على الإنسان .

لما سار هذا الإنسان في طريق التطور، أراد أن يسيطر على هذه البيئة وبعد مرور السنين توصل إلى التغلب على البيئة والسيطرة عليها بشكل يتلاءم وحاجاته فالبيئة إلى جانب الإنتاج المتطورة تشكل واحداً من أهم عناصره وشروطه لتطور المجتمع وديمومته وتعاقب أجياله دون مشاكل حيوية . ولكن الخطى التي قطعها سريعة أفقدته السيطرة على البيئة وأخذت تهدده مرة

أخرى بسبب التطور الحضاري الحديث وما رافقه من تصنيع هائل وتضخم سكاني غير مدروس .

والعلاقة المتبادلة هنا هي ذات تأثير متعادل سواء بطابعها السلبي أم الإيجابي، والبيئة التي اجتهد الإنسان لتكوينها حيناً وتكييفها حيناً آخر عبر مراحل وجوده على الأرض أخذت تضغط عليه بدورها لتجبره على التكيف وفق منطلق التحدي القاسي .

وبيئة الحياة منظومة معقدة إذ تنشأ منها حياة المجتمع وتتطور من دون توقف .

إن ما جاءت به حضارتنا المعاصرة من بيئة مصنوعة غلبت في العديد من المراكز البشرية لاسيما المدن الكبيرة_ على البيئة الطبيعية وتزداد هذه الغلبة يوماً بعد يوم حتى أن الكثير من ساكني المدن الكبيرة لم يعد يتاح لهم اليوم رؤية البيئة الطبيعية بما تحتوي من أفق بعيد وانهار وطيور وزروع .

وهكذا أصبحت تصاميم وأبنية القرن العشرين والقرن الواحد والعشرين لا تهتم بإنسانية الإنسان وحبه للحرية وارتياحه للمكان الواسع والانطلاق . فلا تزيد مساكنه عن أماكن للنوم وليس للحياة على خلاف ما رأيناه في الحضارات السالفة_ لاسيما في العمارة الإسلامية_ فقد تعايشت البيئة بمالها من صفات وخصائص وتبدو حتى اليوم ثابتة راسخة تنشرح الصدور راسخة على الأرض شكلاً وجمالاً . أما اليوم فنراها : بيئة متكاثرة بشكل متوحش من صنع الإنسان قد قلصت المساحات المكونة . خففت الضوء، قصرت الألوان، وبقساوة نشرت الصخب والسرعة والتعقيد . فهنا

دعوة للمحافظة على نقاء البيئة وسلامتها من كل النفايات التي من شأنها أن تضر بالبيئة وتفسد نقائها . إن عدم الاهتمام بثراء الطبيعة يقود إلى دمار الأشكال الحسية ومن ثم إلى دمار الإنسان نفسه . بالرغم من إن الأعداد متزايدة من الناس تفهم وتعي الحاجة الملحة للتغيير . ومن المفيد أن نذكر انه مهما بلغ تطور الإنسان وما يرافقه من اكتشافات تبقى الطبيعة هي الملاذ الآمن له فهي وحدها التي تمتلك الصفات وتمده بكل ما يحتاج له بسخاء.

إن البيئة المصنوعة ومن قد توصل إليه العالم من قدرات على التحكم في بيئته الطبيعية من استخدام للتكنولوجيا الحديثة والطاقة والقدرة على العيش في المناطق الباردة وإصلاح الصحاري وتعميرها واستزراعها وشق الأنفاق والطرق ، قد حدا كل هذا بالإنسان أن ينفصل عن بيئته الطبيعية تماماً حتى لو كان يعيش بداخلها وأصبح ارتباطه بالبيئة ، والمتحكم هنا هو قدرة الإنسان على التقدم العلمي والصناعي .

ولكن مهما بلغ الإنسان من قدرة وعلم فهو لا يستغني عن الطبيعة . ويعتمد الإنسان على البيئة المادية قبل كل شيء لتأمين حاجاتها البيولوجية فالإنسان يستهلك خلال (24 ساعة) زهاء (20)م3 من الهواء ولترين من الماء وبإمكان الإنسان أن يعيش خمسة أسابيع بدون غذاء وخمس دقائق بدون هواء.

ربما يتبادر إلى الذهن إن ما ذكرناه هو ذم للمدينة ودعوة إلى هجرها . ولكن الواقع عكس هذا ، وإن المدينة مظهر حضاري وأناقتها وجمالها مقياس للحضارة.

يقول الكاتب (اوسكار وايلد): إن المستقبل متعلق بالتألق، حيث الإجادة هي مثال الكمال الذي يسود ، كما يقول هولبروك جاكسون في هذا الصدد آن حركة الداندزيم ممثلة للعودة إلى المدينة بدلاً من الرجوع إلى الطبيعة ... إن حب المدينة هو الشوق الإنساني الذي لا يمكن كبته، تحت ضغط تلك الآراء التي يقول بها أولئك الذين دافعوا عن بساطة الحياة والعودة إلى الطبيعة ، حتى لو إن الإعلام عن ذلك يتخذ لديهم تلك الكلمات الحماسية الملتهبة.... ذلك لأن الحياة الإنسانية تجتذب مشاعر الناس نحو المدينة حتى أولئك الذين يهاجرون إلى البراري والغابات ... فهم يشعرون مع ذلك بحنين نحو المدينة . نحن نريد مدينة تقدر الطبيعة الجميلة وتحترم إنسانية الإنسان.

البيئة الاجتماعية والفن :

تبقى مسألة توثيق الصلاة مع العالم المحيطي إحدى أهداف الفن ولا تستطيع تصور الفن بلا بيئة إنسانية أو وسط إنساني فهو يعيش وينمو وبنفس الوقت فيه دائماً مواطن البحث والجمال والمتعة والفن، لا يتخلى عن المشكلات الاجتماعية إنما نراه متداخلاً معها وقد بدت بعض الاتجاهات تتجرف باتجاه التجريد الذي هو الآخر يمثل انعكاساً للواقع الخارجي ونستطيع أن ندعم هذه الصلة بين الفنان والمحيط عبر استخدامها للطرق أو وسائل الاتصال المعاصرة منها المتاحف والسينما وساحات اللعب ومصادر المعرفة الأخرى كالكتب . فالفن يمكن أن يخفف من وطأة الإحساس بالاضطراب والمشاكل الإنسانية عبر تغلغله في مفاصل الحياة ولكن يبقى السؤال : هل من الضروري أن يغير الفن المجتمع

ويطوره ؟ انه سؤال يحمل إجابة أيضاً إننا لو فصلنا الفن عن المحيط الإنساني سيحدث لا محالة شرخاً عميقاً في نسيج أو مكونات الحياة.

والفن نشاط إنساني له صله بالوجود وليس أمراً ثانوياً ويتبدل من تبدل آوجه الحياة باعتبار أن الفن يمثل واجهة للنشاط الإنساني والإبداعي .

إن رفض المفاهيم القديمة في الفن ليس معناها إلقائها إنما لا بد وان يستفيد الفنان من معطيات العصر التي تفرض قوانينها على الفن .

((كل شيء في وقته يكون مهم وقانون، أما إذا تصادم الزمن فإن الأمر يصبح مختلف ويصبح تطبيق تلك القوانين أمراً صعباً فمثلاً يمكن تطبيق قوانين عصر النهضة أو قوانين المنظور سابقاً والآن)).

إن رفض المفاهيم والاعتبارات القديمة في الفن ليس معناها إلغائها كنشاط إبداعي مؤثر في حينه إنما لا بد وان يجري تبدل في الصياغات الإبداعية بما يلاءم الحياة والمجتمع.

من الأولى على الفن أن يتزعم هذا التحول ليعبر بسرعة عن هذه التحولات، والواقع إننا لا نستغني بأي حال عن أي نتاج إبداعي ولأي عصر لأنه نشاط مبدع متصل بالوحدات الإنسانية والعواطف الإنسانية والخبرة ومسعى الإنسان على وجه الأرض فقد تصبح تماماً الاستفادة من معطيات الفن الإبداعي مثلاً رغم إننا نحيا في القرن الواحد والعشرين إلاّ إننا نرى إن المبدعون المعاصرين يتأثرون به أشد تأثير لما فيه من نوازع إنسانية صافية ودلالات تعبيرية ووجدانية مرهفة كما إنها تمثل الإنسان وخدمته وليس العكس لأن الفن وبفضل طاقاته التعبيرية يستطيع أن يخلق نمطاً من العلاقات الإنسانية التي تليق بالعصر الحديث .

الإبداع والفن والبيئة الاجتماعية :

نظراً لتنوع مصادر الإبداع واتساع نطاقه (اتجاهاته) فانه لمن العسير والصعب أن نضع تعريفاً حاسماً للإبداع ورغم ذلك فمن الممكن أن نتفق مع الرأي الشائع الذي يرى آن (الإبداع عبارة عن سبل متعددة لخلق أفكار وطرق جديدة أو أشكال أو منتجات جديدة) ولا يفترض بالإبداع في الجانب الأساسي منه هو إعادة تنظيم ما هو موجود أو معروف وبأسلوب جديد يعطي العناصر المعروفة سابقاً قيماً جديدة ولا بد أن نتعرض هنا إلى نظرتين جديدتين تتحدث عن المفهوم الرئيسي للإبداع .

النظرة الأولى :

وترى إن الإبداع ملكة ذاتية وقدرة داخلية فكرية لدى الفرد . والواقع إن هذه النظرية القائمة على المفهوم الفردي للإبداع والتي تنطلق من فكرة الرجل الخارق وهي تتطرف إلى حد كبير وهنا ترى إن الإبداع قبل أن يلتمع في ذهن المخيلة، فانه يلتمع في ذهن المبدع (الفرد) فلهذا فإن الإبداع نتاج روح متفردة لأقلية فردية .

النظرة الثانية :

إن الإبداع نتاج اجتماعي يرتبط بظروف ومستوى التطور العام في المجتمع فلهذا فإن الفرد أو الجماعة يبدعان لأن مستوى المجتمع يسمح بذلك ويوفر الضرورات اللازمة، ويدلل أصحاب هذه النظرة على إن الكثير من

المكتشفات قد توصل إليها أكثر من مبدع وفي أماكن مختلفة وفي الوقت ذاته دون أنه يكون هناك اتصال بينهم، أي إن البيئة الاجتماعية عندما تنضج معارفها ومستوى النضج فيها يصبح الاختراع مثل قطف الثمار بالنسبة للمبدع .

وبناءاً على ما تقدم نرى إن النظرتين تبالغان في جانب من الجوانب فالأولى تجعل الفرد قبل المجتمع والتاريخ وحدود التطور فيما تهمل الثانية الفرد ودوره في الإبداع _ والفرد له دور خلّاق في الإبداع لأنه في حالات كثيرة يكون (حالات فردية) ثم إن المبدع هو ابن البيئة في التحفيز وابن المرحلة التاريخية في الفهم والتبني والتطبيق .

وهناك مجرد أفكار وتعميمات ومعادلات رياضية لفترة طويلة لأن المجتمع لم يكن قادراً على تحويلها إلى طرق في التطبيق .

وهناك المزيد من الأمثلة منها اختراع الكاميرا اخترعت في 1727 وظلت في الأدراج ما يقارب (112) سنة حتى تحولت إلى كاميرا ملموسة وكذلك الحال بالنسبة للتلفزيون، إذ اخترع عام 1922 ووضع موضوع التطبيق بعد مضي 12 سنة وكذلك الحال بالنسبة إلى الهاتف والراديو والرادار وغيره .

إن الإبداع باعتباره يشكل النموذج للنشاط الإنساني له طرفان:

أولاً : البيئة الاجتماعية ومستوى تطورها وقابليتها على الإبداع.

ثانياً : الفرد المبدع باعتباره النواة المجسدة للإبداع وهو يمكن أن يكون نحاتاً أو سياسياً كبيراً أو إدارياً مبدعاً أو فيلسوفاً أو عالماً مبدعاً ....

مفهوم التراث الشعبي وعلاقته بالفن البيئي :

التراث الشعبي مصطلح يعني بشكل عام ما يعنيه الفلكلور ، ويعرفه بعض العلماء بأنه المواد الثقافية الخاصة أي الثقافة العقلية والمادية والاجتماعية أو العناصر الثقافية التي أبدعها الشعب وتناقلها من جيل إلى جيل آخر ، وهو أيضاً المعتقدات والعادات الشائعة والروايات الشعبية وبمعنى آخر : إنه الأنموذج (الموديل) في الكلام والشكل الملموس وهو عامل مهم في التماسك (الارتباط) الإنساني وأساس لهذا الارتباط ويعكس حياة الشعب أو الأمة بأحاسيسها وأمنياتها وحاجاتها وتنعكس هذه على حكاياتهم ورقصاتهم وأغانيهم وإبداعاتها الملموسة في إنتاجهم اليدوي .

والتراث الشعبي يحقق نفس الأغراض التي تحققها الفنون الملموسة كالرسم والنحت والفخار وما يتصل بها مثل الخط والزخرفة ، علاوة على ذلك فهو علم من العلوم الإنسانية وله غاية وظيفية في حياة الإنسان الاجتماعية التي عبرت عن تطلعاته وتفسيره للمجتمع الذي يعيش فيه معبرا عن تلك المظاهر الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية بأسلوب يمكن إدراكه وفهمه وهكذا كان التحام العقل بالفكر والحدس والشعور لتكوين العمل المبدع المثمر للمشاركة في موكب الحضارة الإنسانية والحياة الأفضل .

وهكذا فالتراث معناه كل ما ورثه الأبناء عن الآباء والأجداد من معرفة عبر الأجيال من طقوس وعادات وثقافة أي من إنتاج ملموس في الفنون الشعبية ومن إنتاج غير ملموس كالثقافة الشعبية (أي الشعر والنثر والقصة والحكم والتقاليد وغيرها) .

والـتراث الشـعبي يصـطلح عليـه بـالفلكلور وهـو مصـطلح مكـون مـن كلمتين (Folk) ومعناها عامة الناس و(Lore) وتعني المعرفة .

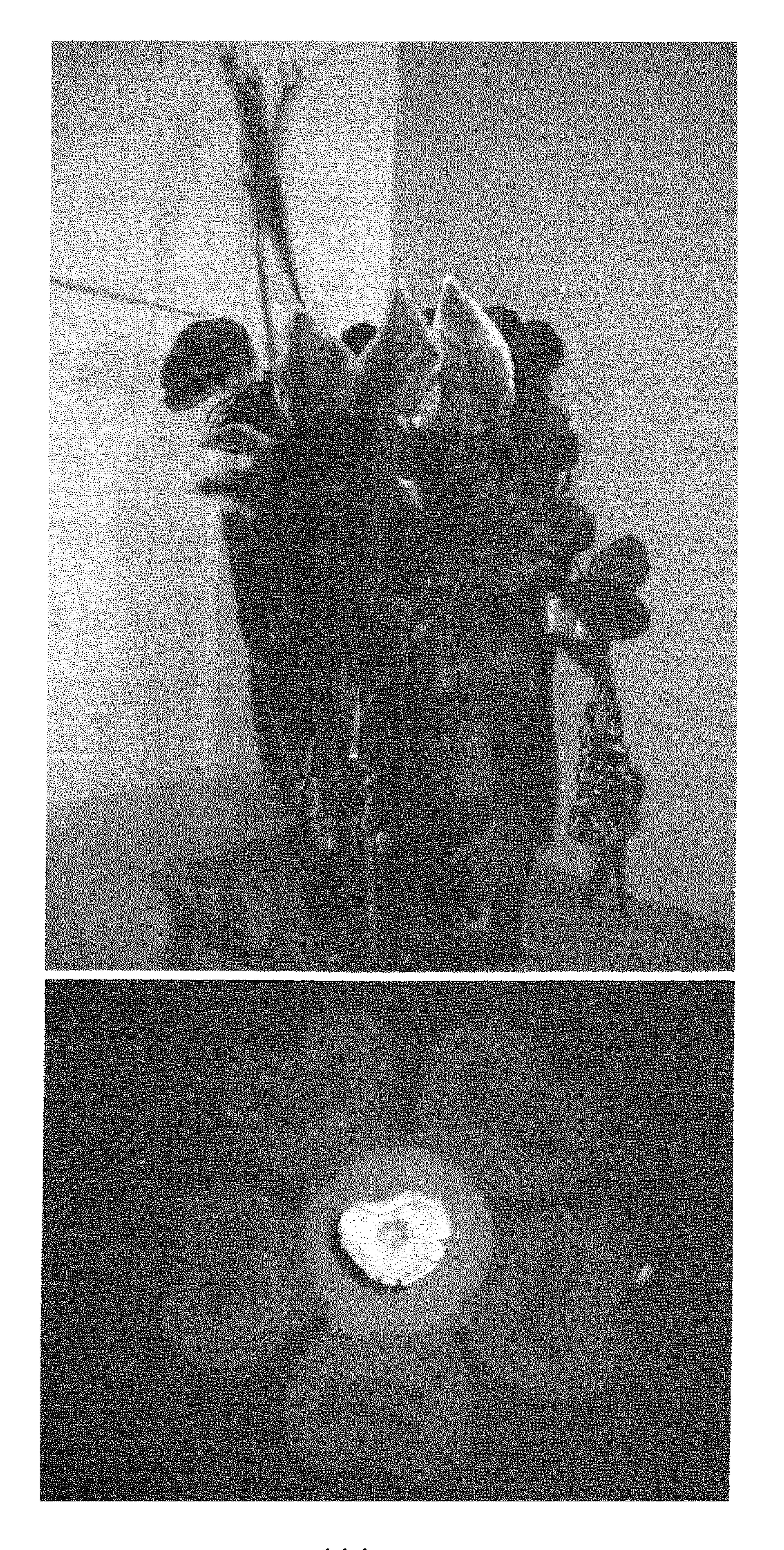
وقد ادخله وليم توماس في قائمة المصطلحات العلمية عام 1846 وعرفه بالتراث الشعبي وتقاليده بعد أن كان مقتصراً على الأدب الشفوي فقط .

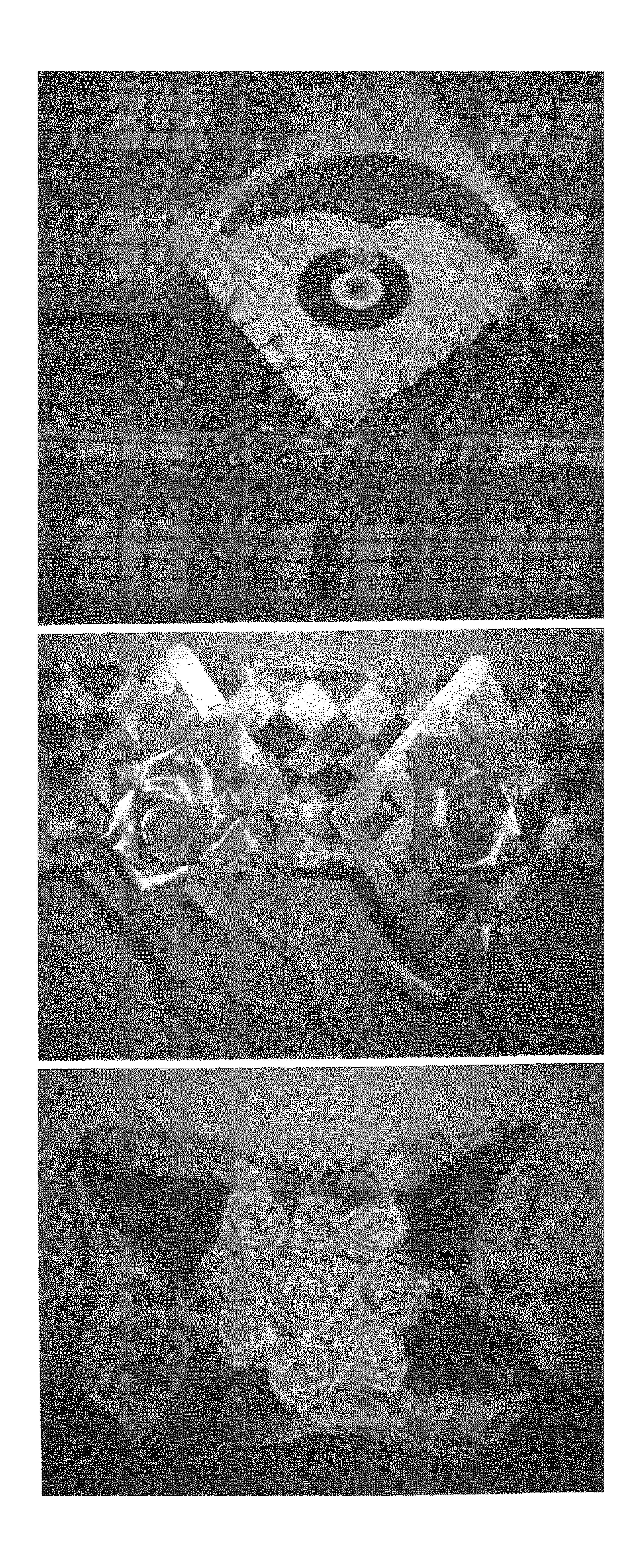
وقد اعتبرت الفنون الحرفية من التراث الشعبي .

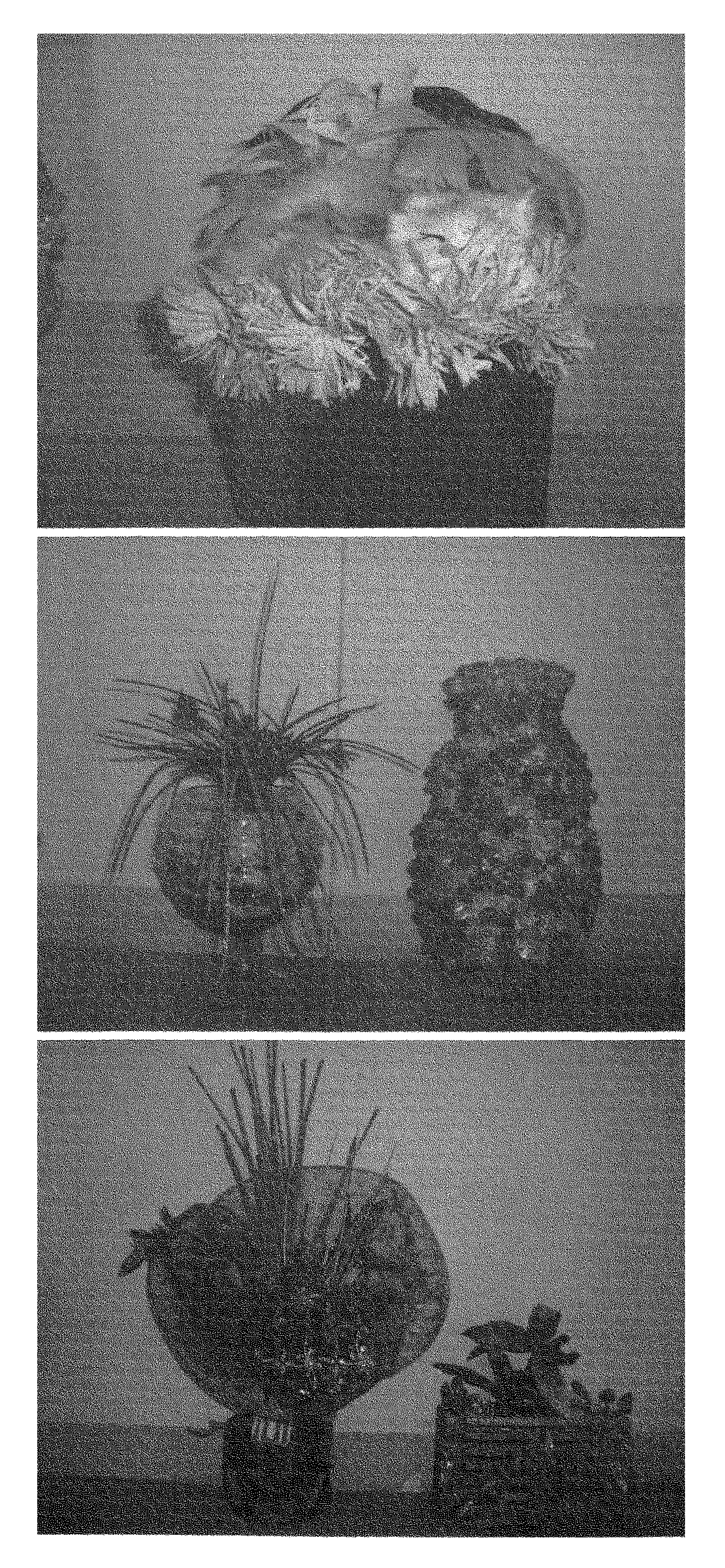
كان الإنسان (الفنان) يحفر على جدران الكهوف وفي عصور أخرى كان يقيم المعابد والكنائس والمساجد ويزينها ، وفي عصور ثالثة كان يرسم بالزيت على القماش . وهكذا فإن الفنان الحقيقي هو الذي يحقق الإنتاج الفني خلال أي مادة أو وسيلة يفرضها عصره ما دام قادراً على استعمالها في تحقيق رغبته التلقائية في التنفيذ .

وهكذا ظهر فن يمكن الاصطلاح عليه بـ (الفن البيئي) والذي يهدف إلى إدخال خامات الطبيعة والاستفادة منها في عمل فني وظهرت جماعات فنية حاولت إدخال الخامات البيئية في أعمال فنية ومنهم سلفادور دالي وغيره من الفنانين.

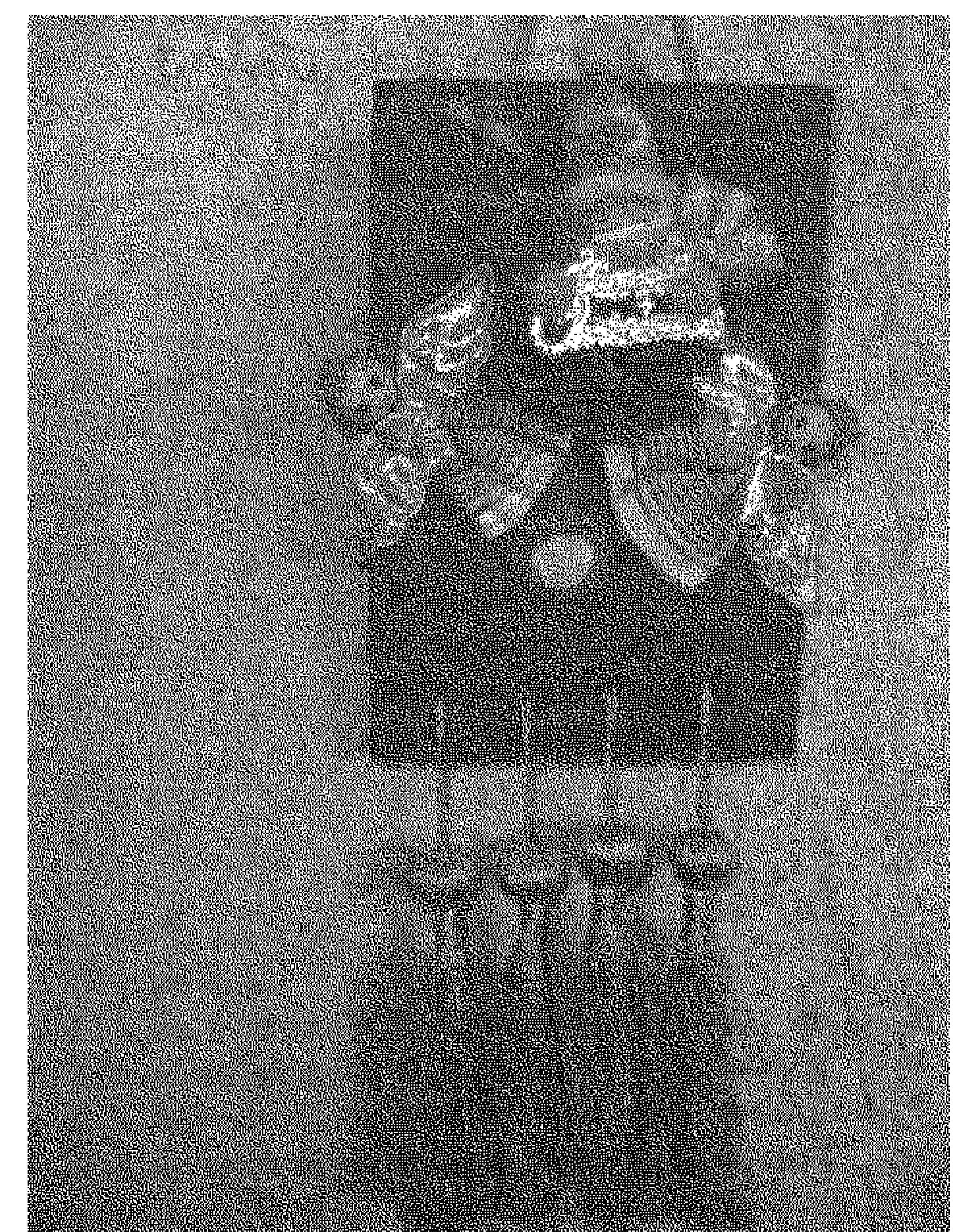
نماذج مختارة من الفنون البيئية وخاماتها

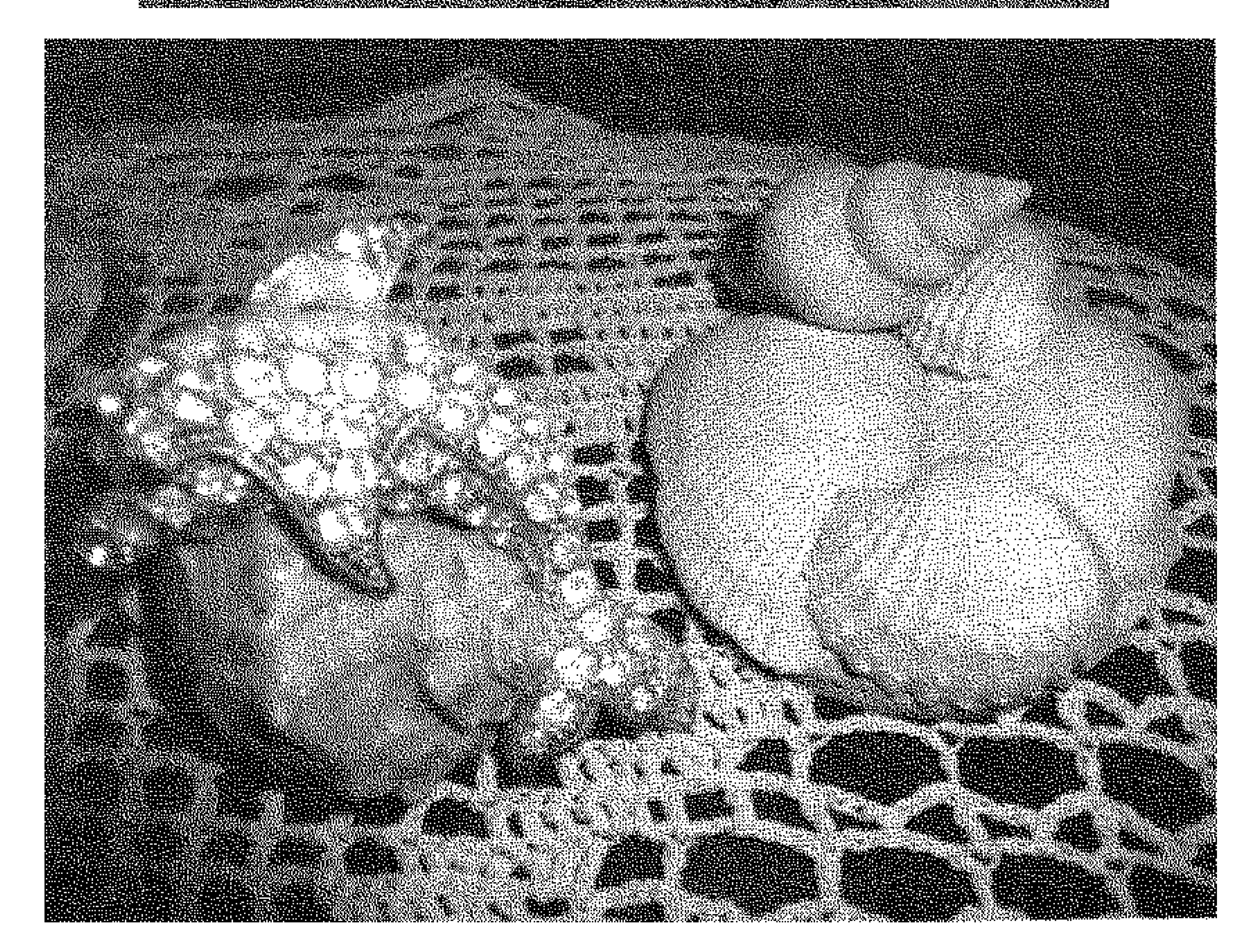


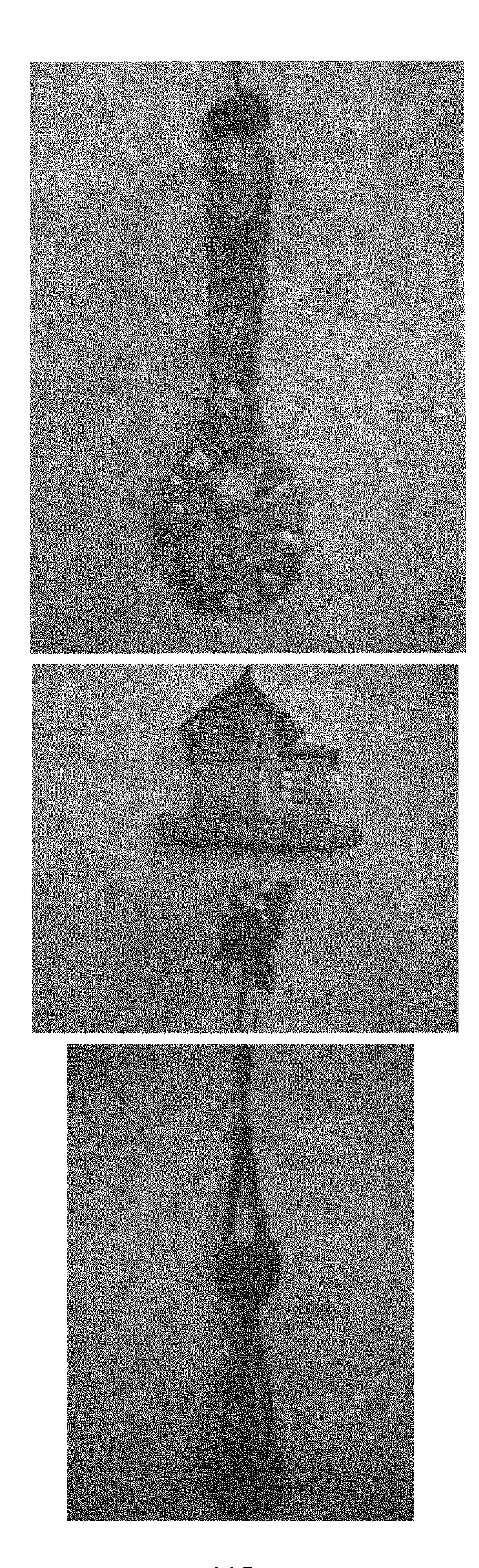


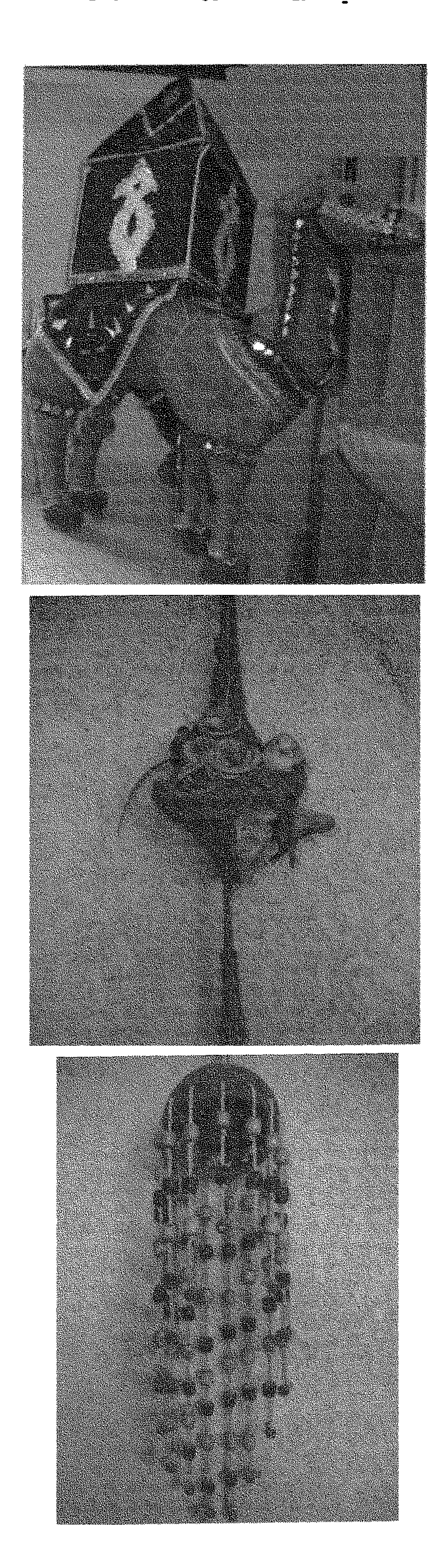


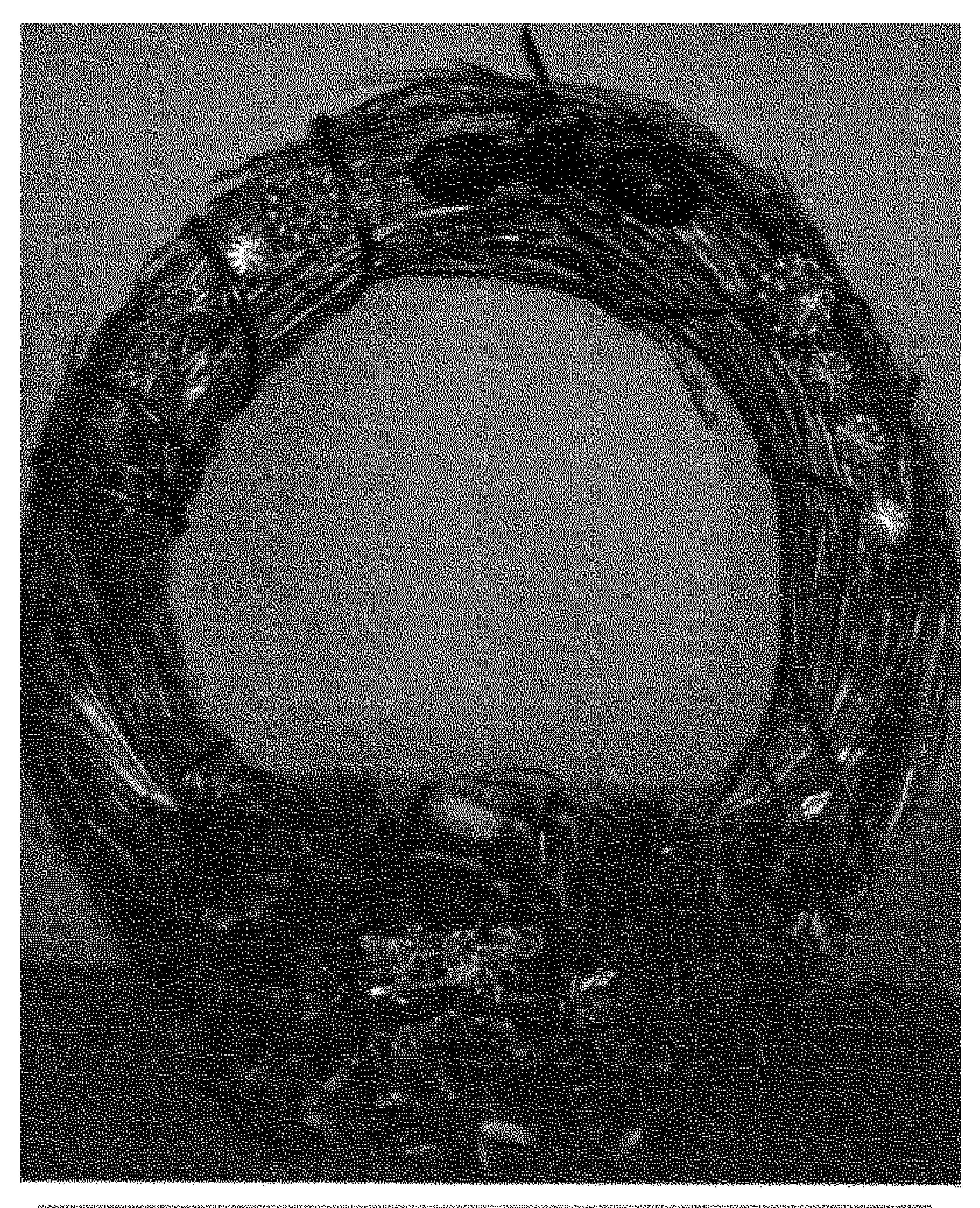


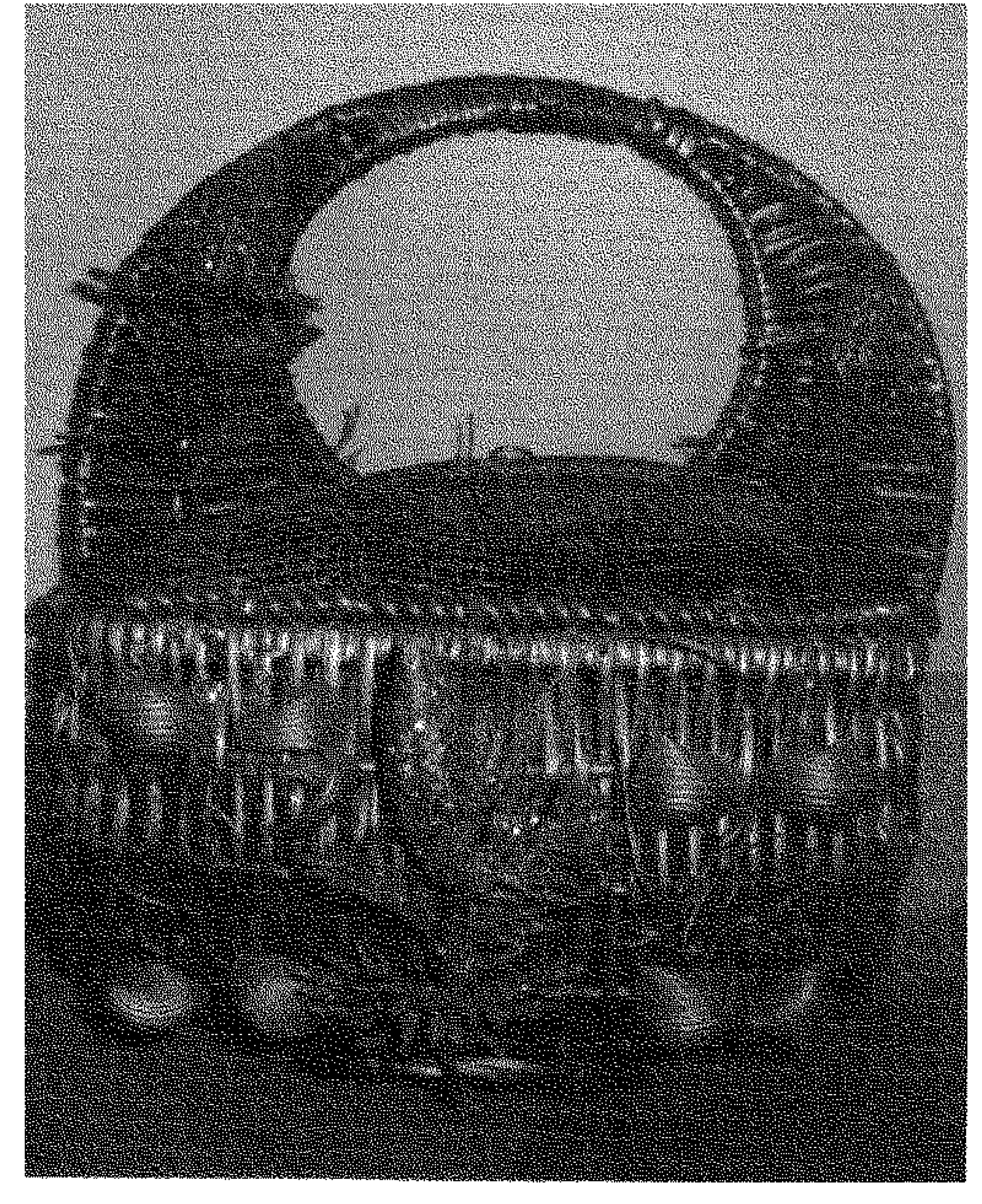


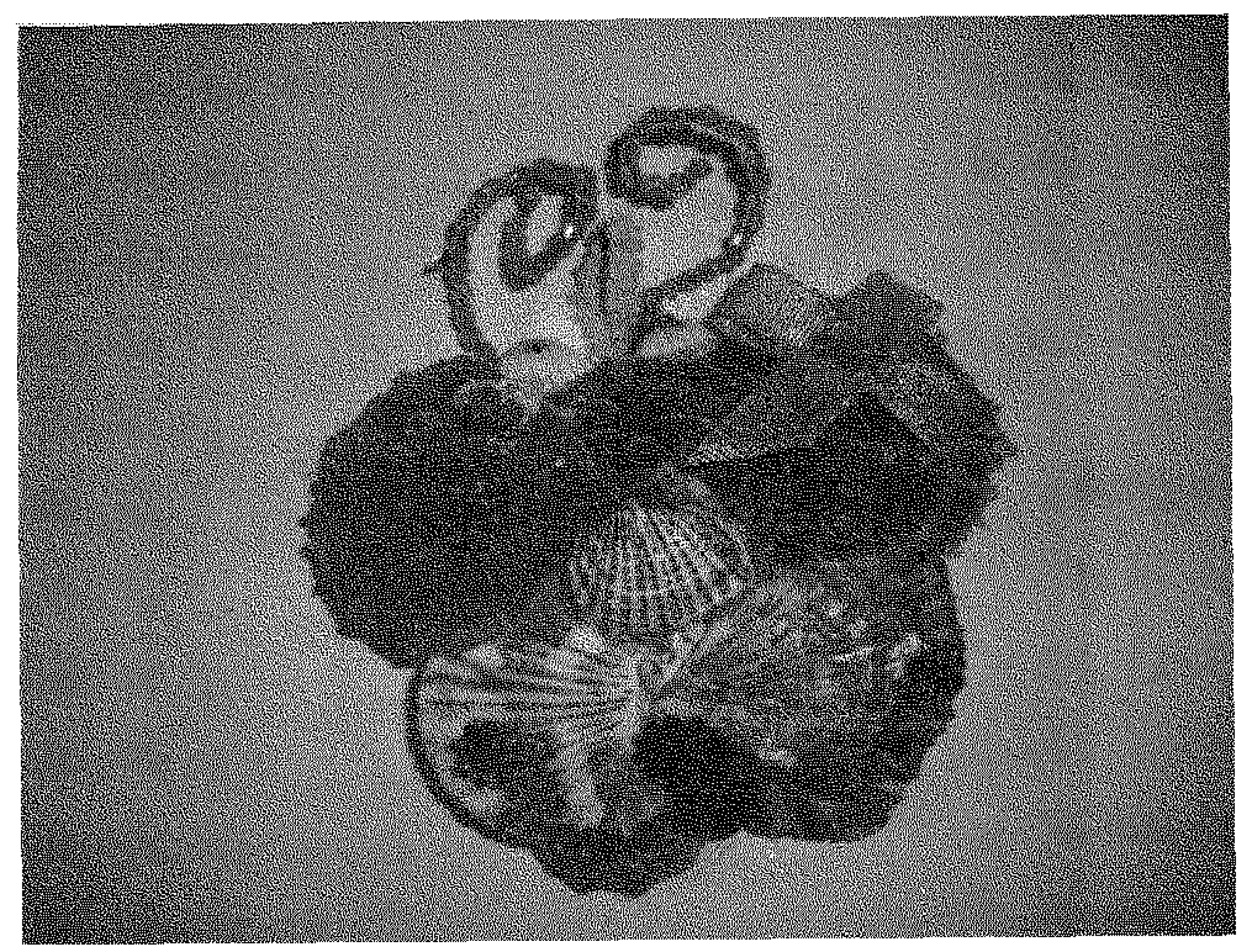


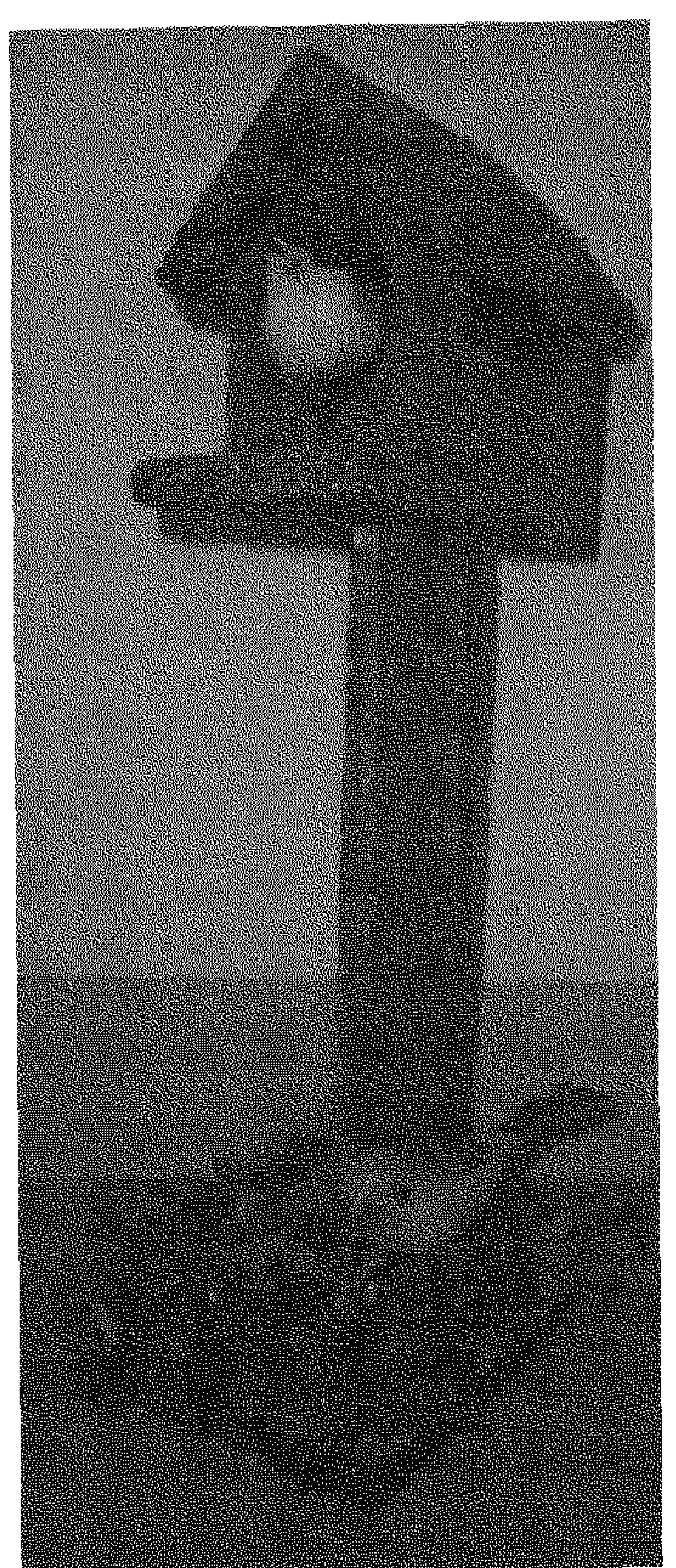














المصادر

1. الألفي ، أبو صالح ، الموجز في تاريخ الفن العام ، القاهرة ، 1973.
2. تويا ، رقي خلوق ، الإنسان ومعجزة الحياة ، ترجمة : اوردخان محمد علي ، 1984.
3. جايلد . ف ، جوردن ، التاريخ ، ترجمة عدلي برسوم عبد الملك ، القاهرة ، 1958.
4. جورجي ، كيبس ، دراسة الفن والوعي البيئوي ، ترجمة: هاشم الطويل ، مجلة الرواق ، ع 9 ، بغداد ، 1980.
5. الخوري ، لطفي ، في علم التراث الشعبي ، بغداد ، 1979.
6. سرحان ، نمر ، إحياء التراث الشعبي ، عمان ، ب ت.
7. عبد الله ، عبد الكريم ، فنون الإنسان القديم أساليبها ودوافعها ، بغداد ، 1973.
8. عبد المعطي ، محمد ، الإبداع الفني وتذوق الفنون الجميلة ، الإسكندرية ، 1985.
9. عيد ، كمال ، فلسفة الأدب والفن ، ليبيل ، 1978.
10. ويلن سكي ، أر ، أج ، دراسة الفن ، ترجمة : يوسف داود ، بغداد ، 1982.
11. يحيى ، لطفي عبد الوهاب ، اليونان ، مقدمة في التاريخ الحضاري ، دار الكتب العربية ، بيروت ، 1979.
12. Britanica , World Language , Vol. 1,P.82

المؤلفة في سطور

د . صفا لطفي :

مواليد 1973

بكالوريوس رسم (الأولى مع مرتبة الشرف) كلية التربية الفنية ـ جامعة بابل 1994

ماجستير تربية فنية ـ كلية التربية الفنية ـ جامعة بابل 1999

دكتوراه فنون تشكيلية / جماليات التصميم الزخرفي / كلية الفنون الجميلة جامعة بابل / 2006

شغلت منصب رئاسة قسم الفنون التطبيقية لست سنوات /حاليا أستاذ مساعد كلية الفنون الجميلة ـ جامعة بابل

عضو نقابة الفنانين العراقيين

الجوائز :

جائزة الدولة للطلبة المتفوقين في الفنون 1994

درع الجامعة اللبنانية 2011

قلادة الإبداع عن نقابة الفنانين العراقيين 2012

الشهادات

شهادة عن دورة طرائق التدريس (الخامس على الدورة) 2002

شهادة عن الدورة التأهيلية لتعليم الحاسوب 2002

شهادة بنظام إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي وبرنامج التدقيق الداخلي وفق المواصفة العالمية

شهادة من جامعة بيليغرود للثقافة والفنون الروسية(ضمن برنامج تدريب الملاكات التدريسية العراقية ـ 2012

الشهادات التقديرية :

شهادة تقديرية لمشاركتها في معرض الفنانين من مدير عام دائرة الفنون 2002

شهادة تقديرية من رئيس نقابة الفنانين / بابل 2001

شهادة تقديرية من نقيب الفنانين العراقيين 2002

شهادة تقديرية من رئيس جامعة بابل للمشاركة في المؤتمر العلمي السادس 2000

شهادة تقديرية من رئيس جامعة بابل للمشاركة في المؤتمر العلمي العاشر 2008

شهادة تقديرية من رئيس جامعة بيليغرود التكنولوجية 2012

وهناك العديد من الشهادات التقديرية الأخرى

المشاركات الفنية

معرض فناني بابل / قاعة الاورفلي 1997

معرض فناني بابل /قاعة عشتار 1997

معرض مهرجان بابل الدولي العاشر 1997

معرض فناني بابل / قاعة الاورفلي 1998

معرض مهرجان بابل الدولي الثالث عشر 2001

معرض فناني بابل / قاعة الواسطي في جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين 2001

معرض أساتذة كلية التربية الفنية / 2001

معرض أساتذة كلية الفنون الجميلة 2006

معرض جمعية التشكيليين العراقيين ـ النجف / 2008

معرض بابل عاصمة الثقافة العراقية / 2008

المعرض الثالث عشر للفن العراقي المعاصر / مركز الفنون / 2011

المعارض الشخصية :

المعرض الشخصي الأول / قاعة أكد ـ بغداد / 2001

المعرض الشخصي الثاني (مدينة الحلة بين الواقعية والحداثة) 2003

المعرض الشخصي الثالث (الحلة مدينة الشناشيل والطبيعة الجميلة) على قاعة عشتار / 2008

المعرض الشخصي الرابع (شناشيل زجاجية) على قاعة البيت الثقافي في بابل 2011

المعرض الشخصي الخامس (حكاية مدينة) على قاعة جمعية التشكيليين اللبنانيين للرسم والنحت - بيروت 2011

المعرض الشخصي السادس (أشياء من التراث العراقي) على قاعة المعرض في جامعة بيليغرود للثقافة والفنون الروسية / 2012

المعرض الشخصي السابع (مدونات تراثية) على هامش المؤتمر الدولي لتطوير التعليم العالي في العراق / 2012

المعرض الشخصي الثامن (مفردات رافدينية) بمناسبة يوم جامعة بابل /2013

البحوث والمقالات :

لي مايقارب 30 بحثا علميا منشورا في مجلات محكمة عراقية وعربية وعالمية / وسلسلة مقالات ضمن عمودي الخاص / و7 مقالات في الموسوعة البابلية .

كتب الشكر والتقدير :

لي أكثر من 30 كتاب شكر من رؤساء جامعات عراقية وعالمية

الإشراف على طلبة الدراسات العليا :

أشرفت على عشرات الطلبة في الدراسات العليا وناقشت العشرات

المحاضرات والحلقات النقاشية :

تم إلقاء محاضرة (الفنون التطبيقية في وادي الرافدين) على قاعة جمعية التشكيليين اللبنانيين للرسم والنحت - بيروت 2011

اللقاءات والبرامج التلفزيونية :

تم إجراء العديد من اللقاءات مع فضائيات عراقية حول معارضي الشخصية وهناك برنامج صباح الخير يالبنان على الفضائية اللبنانية على هامش المعرض الشخصي الخامس (حكاية مدينة) الذي أقيم على قاعة جمعية التشكيليين اللبنانيين للرسم والنحت - بيروت 2011

صدر لي من المؤلفات :

1. تأملات جمالية لمعمار البيوت التراثية في مدينة الحلة
2. البيوت التراثية الحلية / عن مركز الدراسات الحضارية والتاريخية / جامعة بابل
3. مصطلحات في الفن العربي الإسلامي وفلسفته / عن المطبعة العصرية
4. النقد الفني وقراءة في فن الرسم الحديث / عن مكتبة لبنان ناشرون
5. تاريخ الفن والعمارة الإسلامية / عن مكتبة لبنان ناشرون
6. معجم مصطلحات في الفن العربي والإسلامي /عن مكتبة لبنان ناشرون
7. فنون الحضارات القديمة ـ قراءة بصرية / عن المركز الثقافي للطباعة والنشر .
8. الجلال والجمال في قصة العبد الصالح / عن شمس للطباعة
9. تصاميم وزخارف إسلامية / عن دار الأرقم للطباعة
10. مشاهد تشكيلية من مدينة الحلة / عن دار الأرقم للطباعة
11. الفسيفساء العربية ، أصولها ، جمالياتها ، رمزيتها / عن دار الأرقم للطباعة
12. أسس التصميم الجمالي في الزخرفة / عن دار الأرقم للطباعة
13. الانسكلوبيديا الجمالية والبحثية للفن الإسلامي / عن دار الأرقم للطباعة
14. الموجز في تطور الفن الجداري / مكتبة لبنان ناشرون

الفن البيئي

تعريفه . تطوره . عناصره وأهميته







الدار المنهجية للنشر والتوزيع

عمان - شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 4611169 6 962+

E-mail: info@Almanhajiah.com

ص. ب: 922762 عمان 11192 الأردن



9 789957 593971